تدبر
العيلة العالمية لتدبر القرآن الكريم
بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يبني لإنسانية ترقى

تفسير السور القرآنية ﴿1﴾

الوسيط

بصائر المعرفة القرآنية ﴿2﴾

سورة الفاتحة

﴿ الفاتحة منهاج حياة ﴾

الموضوع الكلي للفاتحة

الإسلام في سبع آيات

الأستاذ الدكتور
عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ الدراسات القرآنية/ كلية الشريعة/ جامعة قطر

تسوير السور القرآنية «1»

الوسيط

بصائر لمعرفة القرآنية «2»

سورة الفاتحة

الفاتحة منهاج حياة

الموضوع الكلي للفاتحة

الإسلام في سبع آيات

الأستاذ الدكتور

عبد السلام مقبل المجيدي

أستاذ الدراسات القرآنية/ كلية الشريعة/ جامعة قطر

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

الفهرس

المقدمة 4

مقدمة في بصائر القرآن المجيد، ورسمها لخريطة النجاح الإنساني 6

مراتب المقاصد الكلية العامة لسورة "الفاتحة" 12

المقصد الأول: التعريف باسم الإله الحق الأول والآخر (الله)-جلّ مجدُه-، والتعريف بأساس صفاته وهي: (الرحمة)، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 1) 20

المقصد الثاني: التعريف بالعالمين، (وهم كل المخلوقات في الكون)، وأنهم علامات لا حصر لها على أن الله هو الإله الملك الحق، فمنه التربية، ومنهم الحمد، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2) 28

المقصد الثالث: الرحمة هي السبب في خلق الطبيعة وإنزال الشريعة، فإشاعة الرحمة أهم أهداف خلق الوجود وإرسال الرسل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3) 42

المقصد الرابع: التعريف بقصة نهاية العالم في الحياة الدنيا، وتطبيق العدل الإلهي الكامل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: 4) 52

المقصد الخامس: التعريف بوظيفة العالمين، وهي الالتزام بأنظمة العبادة الموحدة لله؛ وذلك لتحقيق السعادة في الحياتين، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة: 5) 62

72 المقصد السادس: الاستعانة بالله نظامٌ تعبدي يُظهِر الافتقار لقوة القادر القهار ليعين على بناء الحياة وتحقيق النجاح وفق أنظمة العبادة، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة 5)

84 المقصد السابع: (الصراط المستقيم) هو الطريق الوحيد لاتخاذ القرارات الصائبة في التعامل مع الحياة وإقامة النظام العبادي، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6)

100 المقصد الثامن: (الصراط المستقيم) الحقيقي هو الذي سار عليه المُنْعَم عليهم من السابقين، فهذا المقصد يبين طبيعة الصراط المستقيم، ويصل السابقين من المهاجرين والأنصار باللاحقين في عدم تغيير حقيقة الصراط، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: 7).

108 المقصد التاسع: حراسة الصراط المستقيم من الخطرين الاستراتيجيين على جانبي الصراط: خطر الوقوع في الغضب الإلهي، وخطر الضلالة المهلكة؛ لحماية الصراط عن اليمين والشمال من الاختراق الخارجي، والداخلي، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)

124 المقصد العاشر: مبدأ الأمة الواحدة هو وسيلة أصحاب الصراط المستقيم لتحقيق النصر الجماعي، والحماية لأفراد الأمة، ونستنبط هذا من التعبير الجماعي المميز في قوله ﴿نعبد، نستعين، اهدنا﴾، ومن الوصف الجماعي للمنعم عليهم والضالين

132 الخاتمة

مُقَدِّمَة

بسم الله مجراها ومرساها

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، عالم الغيب والشهادة، القائم بالقسط، الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على نبي الله محمد وعلى أنبياء الله نوح وإبراهيم وعلى أبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وعلى أنبياء الله أجمعين، اللهم احشرنا معهم في ظل عرشك يا أرحم الراحمين.

وبعد:

أُقدِّمُ لك -أخي الباحثَ عن النور- هذا الكتاب الذي يحوي (مفاتح سورة الفاتحة).. إنها السورة التي تختصر الكتب الإلهية المنزلة، وتعبر عن ثمراتها، وهذه (المفاتح) مستلةٌ من كتابي (الإسلام في سبع آيات).

ستجد في (الفاتحة) كتاب الحياة الحقيقية! ستكتشف أجوبةً للأسئلة الوجودية المصيرية.. سترى فيها مختصرًا مدهشاً يفتح لك ألغاز هذا الوجود الكوني.

ربما سمعتَ الكمّ الهائل من الضجيج السيء المثار حول الإسلام، ماذا لو اكتشفتَ أن أغلب ذلك الضجيج هو محض كذبٍ صارخ؟

وماذا لو علمت أن (الفاتحة وهي سبع آياتٌ فقط) تكفي لإظهار الحقيقة؟

(الفاتحة) عبارةٌ عن تسعٍ وعشرين كلمةً لا أكثر.. إذا تدبرتها تجلى لك أن الإسلام في الحقيقة جاء لحماية مصالح الإنسانية.. إنه الهدى والرحمة والبشرى الذي يأخذ بيدي النفس الإنسانية في محبةٍ غامرة، ونورٍ مبهجٍ لتعرف ربها جلّ مجده، ولتعرف نفسها، ولتعرف الكون حولها .. تعال معي نكتشف الإسلام في ثلاثة أسطر من القرآن العظيم.

منهج الكتاب:

1) قمتُ بإدراج الترجمة المباشرة لمعاني الآيات بين قوسين منفصلين لتميزها عن التفسير الشخصي الذي استنبطته.

2) وجدت أن آيات الفاتحة السبع بَصَّرتْنا بعشرة مقاصد، وهذه المقاصد العشرة قدمت لنا تعريفًا مكثفًا وواضحاً للإسلام يجيب عن أسئلة الباحثين، ويدحض شبه المشككين.

3) قمت بتقسيم المقاصد العشرة إلى مجموعة من البصائر تشرح معانيها، وتجدها مجموعة مع بداية كل مقصد ومشروحة على وفق ذلك.

عبدالسلام مهدب المجيدي
s1435y@gmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

(الفاتحة 1-7)

مُقدمة في بصائر القرآن المجيد ورسمها لخريطة النجاح الإنساني

بصيرة 1

القرآن المجيد يبين برنامج الرحمة الحقيقية بالحياة الإنسانية، فهو كتاب الحقيقة الكاملة الذي يفسر وجود العالم ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 52)، فالبشرية تجد فيه كل مصادر السعادة والحلول لمشكلاتها الكثيرة

ففي الجوانب الاقتصادية مثلًا: قدمت صحيفة الفاتيكان المعروفة باسم (أوسرفاتوري رومانو) [L'Osservatore Romano] بالإيطالية اعترافًا ضمنيًا بذلك عندما أشارت إلى أنه يتوجب على البنوك التقليدية أن تنظر إلى المصرفية الإسلامية بعناية فائقة على أنها الحل الأمثل للأزمة المالية العالمية.

انظر: صحيفة (أوسرفاتوري رومانو) (L'Osservatore Romano) بالإيطالية 3 مارس 2009م

بصيرة 2

لا بد من تنمية الاعتزاز بالبصائر القرآنية باعتبارها أهم عوامل الفلاح والانتصار الفردي والجماعي ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: 10)، فقد قال لنا النبي ﷺ من قبل: ((فإن هذا القرآن سببٌ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا)) (ابن حبان (122)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن)

وامتلأ قلب ابن القيم -رحمه الله- بذلك فقال:

«أنزله لنقرأه تدبرًا، ونتأمله تبصرًا، ونسعد به تذكرًا، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به، ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه»

(مدارج السالكين 27/1)

بصيرة 3

من أهم أهداف الكتاب

الهدف الأول:

استنباط الرؤية القرآنية لتحدد للمسلمين -أفرادًا وأمة، وشعوبًا وحكومات- الأوليات الحياتية التي تشكل الأساس الفكري والثقافي الذي نبصر به كيفية التعامل مع الوجود ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: 104).

الهدف الثاني:

تطبيق علم "تسوير السور القرآنية" على سورة الفاتحة، فتتضح الحكمة والإحكام في ترتيب آيات السورة الواحدة، بإظهار محاور السورة في صورة خطية متتابعة مترابطة متكاملة تؤدي كل آية إلى الآية التي تليها، ويقتضي أولها الوصول إلى آخرها، ويخبر آخرها عن أولها ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: 1)، فآيات القرآن «جاءت عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلًا، وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا وَتَأْصِيلًا».

ما أعظم فوائد الترتيب المصحفي لسور القرآن الكريم؟

بصيرة 4

الجواب: الترتيب القرآني بسوره وآياته أنتج عدة مستويات لفهم النص، مما ميز النص القرآني بجعله ميسرًا للأمي وفق مقدرته الثقافية، كما مَكّن العالم الراسخ من أن يستنبط من النص ذاته المبادئ والمفاهيم المذهلة في بناء الحياة، وذلك بإعمال العقل البشري في تدبر كلام الله -جل مجده-.

بصيرة 5

منهج التدبر هو الوسيلة الممكنة لاستشكاف المعجزة القرآنية﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: 24). فـ(التدبر) يُوجِدُ (الخفيّ الممتعَ من التفكر)، ويجلبُ (العظيمَ من صادق التأثر)؛ إذ التدبر بحثٌ عما وراء الكلمة من المعاني الحقة التي ترسم الوعيَ الإسلامي، وتنير التفكير الإنساني.

المصدرية الإلهية وهيمنة القرآن:

بصيرة 6

تعتمد البصائر القرآنية على المصدرية الإلهية للقرآن الكريم، وهي مصدرية لم تَطَلْها يد التحريف أو التزييف

هنا نذكر قول موريس بوكاي في لقاء متلفز له عام 1987 م:

" لا بد لي أن أعترف حينما قرأت القرآن في لغته العربية لأول مرة في عام 1972م كانت المعلومات المتعلقة بجسم الإنسان فيه هي أول ما أدهشني إلى أبعد الحدود، وبالنظر إلى وضع المعرفة العلمية في عهد النبي ﷺ، فإنه لا يعقل أن يكون ذلك الكم الهائل من المعلومات المتصلة بالعلم الوارد في القرآن، لا يعقل أن تكون من وضع إنسان، ولذا فإنه من المشروع تماماً النظر إلى القرآن ليس باعتباره وحياً منزلاً فحسب، بل ايضاً أن نفرد له موقعاً مهيمناً خاصاً به، على أساس الضمان الذي توفره لنا مصدريته الإلهية، وأيضاً بما تحتويه آياته من إشاراتٍ علمية، عندما ندرسها في عصرنا هذا نراها لا تزال تشكل تحدياً حقيقياً للمعرفة الإنسانية "

نَمَاذِجُ لِإِدْرَاكِ قِيمَةِ الفَاتِحَةِ وَعِظَمِهَا

الأنموذج الأول: بين الحضارة العظيمة (حضارة الحِجْر) وسورة (الفاتحة):

ما علاقة سورة الفاتحة بحضارة أصحاب الحِجْر؟

الجواب: ذكر الله حضارة أصحاب الحِجْر ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الحجر: 80)، وهي حضارةٌ أنشأتها قبيلة (ثَمُودَ) نحتت فيها البيوت في الجِبَال، وفي السورة ذاتها يخاطب النبي ﷺ فيقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ (الحجر: 87) أي آتيناك الفاتحة فكأن التمسك بعهد (الفاتحة) يعني إنشاء حضاراتٍ أعظم من حضارة أصحاب الحِجر

لذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

((والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبعٌ من المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته))

«الترمذي (2875)، وصححه الألباني»

فالفاتحة أحسن الأحسن، وأفضل الأفضل.

الأنموذج الثاني: الفاتحة (أمّ القرآن):

لماذا وصف النبي ﷺ سورة الفاتحة بأنها (أم القرآن) وفاتحة (الكتاب)؟

أولاً: لأنها تُمَثّل الخطة القرآنية المركزية لبناء الحياة العلمية والعملية التي يحتاجها الفرد وتبنى بها الأمم والعالم

وثانيًا: هي السورةُ الوحيدةُ التي نزلت كاملةً في وقتٍ مبكّرٍ لتُقَدّمَ - بصورةٍ متميزةٍ بين سور القرآن- للعالَم التعريفَ المُكَثّفَ الواضحَ للإسلام.

ولكن هذه المركزية العظيمة لـ(أمّ الكتاب، وأمّ القرآن) لا تعني أن بقيةَ السور القرآنية مستغنىً عنها، فهي فاتحة للسور، وليست هي السور، فبقية السور القرآنية تحتوي على معالمَ (تفصيلية) و(تأكيدية) لما في (الفاتحة)،وتنشئ (قواعدَ جديدةً)، ومبادئ (تأسيسيةً) لم ترد في الفاتحة، وقد وصف الله الخريطة القرآنية كُلّها فجعلها بجميع السور محتويةً على أربعة معالم أساسية، فقال: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111).

والأنموذج الثالث: بين الفاتحة وبقية سوَر القرآن الكريم

ما علاقة سورة الفاتحة ببقية سور القرآن؟ وما المزية التي تمتاز بها حتى جعلت أول سور القرآن في ترتيب المصحف؟

الجواب: (الفاتحة) لسان البشرية الصادق في الصلة برب العالمين والمناجاة المتلذذة، فهي «السورة الوحيدة التي وُضِعَتْ أولَ الأمر لا على الصدور عن كلام الرُبوبية العليا؛ ولكنْ على لسان البشريّة المؤمنة، تعبيرًا عن حركةٍ نفسيةٍ جماعيةٍ متطلّعةٍ إلى السّماء، بينما سائرُ السُوَر تعبّر عن الحركة المقابلة: حركةِ الرحمة المرسلة من السّماء إلى الأرض، فالفاتحةُ سؤالٌ، وباقي القرآن جوابٌ، الفاتحة طلبُ الهدى، والباقي هو الهدى المطلوب كما يقول الدكتور/ محمد عبد الله دراز - رحمه الله-.

ماذا تتوقع أن تكون المقاصد الكلية، والمعاني الجامعة التي دارت عليها سورة "الفاتحة"؟

حاول العلماء أن يحصروا مقاصد سورة "الفاتحة"، وإليك نماذج من جهودهم:

الأنموذج الأول

الفخر الرازي (ت606هـ)

ذكر أن مقاصد القرآن أربعةٌ هي:

- الإلهيّات
- والمعاد
- والنُبوّات
- وإثبات القضاء والقدر لِلّه تعالى..

الأنموذج الثاني

ابن جزي الكلبي (ت741هـ)

ذكر أن مقاصد القرآن ستةٌ اجتمعت في الفاتحة وهي:

- الألوهيةُ
- والدارُ الآخرةُ
- والعباداتُ كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي
- والشريعةُ
- والأنبياءُ وغيرهم
- وذِكْرُ طوائف الكفار

الأنموذج الثالث

الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)

قرر أن مقاصدَ القرآن الكلية ثلاثة مقاصد هي:

- الثّناء على اللّه
- والأوامر والنّواهي
- والوعد والوعيد

لأنّ الأهدافَ الغائيةَ الكبرى ترجِعُ إلى صلاح الدّارين، وذلك يحصل بالأوامر والنّواهي، وتوقّفتْ الأوامرُ والنّواهي على معرفة الآمر، وتوقّف تمام الامتثال على الرّجاء في الثّواب، والخوف من العقاب فلزم تحقُّقُ الوعد والوعيد.

حتى نعرف المقاصد الكلية للفاتحة يمكن أن نقسم معرفتها إلى مرتبتين، فما هما؟

مراتب المقاصد الكلية العامة لسورة الفاتحة

المرتبة الأولى:

مرتبة التقسيم الحقوقي النبوي لمقاصد سورة "الفاتحة"

المرتبة الثانية:

مقاصد الفاتحة التي تعرف العالم بالإسلام

المرتبة الأولى:

مرتبة التقسيم الحقوقي النبوي لمقاصد سورة (الفاتحة)

هي المرتبة التي قسم فيها النبي ﷺ مقاصد الفاتحة إلى ثلاثة مقاصد حقوقية:

الأول: حق الله الملك الحق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

(الفاتحة 1 - 4)

الثاني: حق الخلق

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

(الفاتحة 6 - 7)

الثالث: حقوق مشتركة بين الله الملك الحق والخلق

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

(الفاتحة 5)

هذا التقسيم النبوي وجدناه في الحديث القدسي الذي رواه مسلم (395):

قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: 4)، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 6-7) قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ "

الأول:

حق الله الملك الحق

وتتلخص في الثناء على الله، وهذا يعنى (معرفة الحق لتقديسه وتعظيمه)، ونجد ذلك في الآيات الأربع الأُول من السورة، ولذا يجيب الله على من يقرؤها: (حمدني عبدي، أثنى عليّ عبدي، مجّدني عبدي، أو فوّض إليّ عبدي).

«مسلم في صحيحه (395)».

الثاني:

حق الخلق:

ويدل على هذا القسم الآيتان الأخيرتان ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة: 6 - 7)

ما الغايات المتفرعة من التقسيم الحقوقي الإجمالي للفاتحة؟

الجواب: في ضوء الشمول التام للمجالات الحياتية التي ذكرها القرآن زمانًا ومكانًا وأسلوبًا تتفرع هذه الحقوق إلى غايتين:

الغاية الأولى:

إصلاح الواقع الحاضر

أي إصلاح الأوضاع الحياتية التي فيها معاش الخلق بالعمران الفردي والجماعي، وهذا الإصلاح يقيمه منهاج العبادة التوحيدي بما تضمنه من نظم تشريعية ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة: 5 - 7).

الغاية الثانية:

إصلاح المستقبل القادم

وهو المعاد (يوم الدين) الذي يكتمل فيه الاستقرار الحياتي النهائي للمخلوقين، وتُحقق فيه العدالة الكاملة غير المنقوصة.

الثالث:

حقوق مشتركة بين الله الملك الحقِّ -جلّ مجده- وبين الخلق

ويُعبِّرُ عنها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)

فالإصلاح للواقعين (الحاضر والمستقبل) يتم بالعبادة التي تعني أمرين:

الأول: معرفة الحق لتقديسه	الثاني: معرفة الخير للعمل به

وكلا الأمرين يتم بعبادة الله، والعبادة تعني: تطهير النفوس الإنسانية من السيئات، وتنميتها بالأعمال الصالحة العلمية والعملية

لماذا توسطت ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سورة الفاتحة؟

الجواب: توسطت هذه الآية الدستورية سورةَ (الفاتحةِ) لتكشف إعجاز الترتيب البياني القرآني

حيث يقول الله: ((هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل))، فمن العبد العبادة، ومن الله الإعانة، ولتكون ميزانًا للحقوق العامة في الكون: حقوق الخالق، وحقوق الخلق.

استشعر سفيان الثوري -رحمه الله- ذلك

حينما صلى الْمَغْرِبَ، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) بَكَى حَتَّى انْقَطَعَتْ قِرَاءَتُهُ، ثُمَّ عَادَ فَقَرَأَ الفاتحة من بدايتها. «حلية الأولياء (7/ 17)»

فائدة هذا التقسيم

ما فائدة التقسيم الحقوقي النبوي لسورة الفاتحة؟

الجواب: يكشف هذا التقسيم الحقوقي النبوي للفاتحة المباركة أن القرآن المجيد نزل لرعاية البشرية، فالحقوق الإلهية تمثل في الوقت ذاته الأنظمة الوحيدة الكفيلة بتحقيق المصالح الإنسانية ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ (الإسراء: 7).

مقاصد الفاتحة التي تعرف العالم بالإسلام

وهذه المرتبة هي التي نشرحها في بقية الكتاب، فلماذا التركيز على هذه المرتبة؟

الجواب: لأننا وجدنا أن أهم موضوع يمكن أن تدور عليه سورة "الفاتحة" أن تُعرِّف العالم بالإسلام بأيسر أسلوب، وأجمع معنى.

ما المزايا التي تتمتع بها هذه المقاصد المختارة لتكون مقاصد سورة "الفاتحة"؟

الجواب: مزايا مقاصد الفاتحة

المزية الأولى

(الفاتحة) تُقدِّم الإسلام للعالم، ففيها تعريفٌ واضحٌ بالحقائق الإسلامية الكبرى.

المزية الثانية

تتضمن خريطةً حياتيةً شاملةً لحقائق الوجود الإنساني يتم بها تشكيل عقل المسلم، وبناء آفاقه وتفكيره وأولوياته.

المزية الثالثة

ترسم خطة الإنقاذ للبشرية، وتقرر المقاصد المعرفية والسلوكية التي تحتاجها الإنسانية.

المزية الرابعة

تقدمُ ملخصًا لمقاصد التنزيل القرآني ومحاوره.

مقاصد الفاتحة التي تعرف العالم بالإسلام

المقصد الأول:

1 التعريف باسم الإله الحق الأول والآخر (الله)-جلّ مجدُه-، والتعريف بأساس صفاته وهي: (الرحمة)، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 1)

المقصد الثاني:

2 التعريف بالعالمين، (وهم كل المخلوقات في الكون)، وأنهم علامات لا حصر لها على أن الله هو الإله الملك الحق، فمنه التربية، ومنهم الحمد، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2)

المقصد الثالث:

3 الرحمة هي السبب في خلق الطبيعة وإنزال الشريعة، فإشاعة الرحمة أهم أهداف خلق الوجود وإرسال الرسل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3)

المقصد الرابع:

4 التعريف بقصة نهاية عالم الحياة الدنيا، وتطبيق العدل الإلهي الكامل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: 4)

المقصد الخامس:

5 التعريف بوظيفة العالمين، وهي الالتزام بأنظمة العبادة المُوَحِّدَة لله؛ وذلك لتحقيق السعادة في الحياتين، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة: 5)

مقاصد الفاتحة التي تعرف العالم بالإسلام

المقصد السادس:

6 الاستعانة بالله نظامٌ تعبدي يُظهِر الافتقار لقوة القادر القهار ليعين على بناء الحياة وتحقيق النجاح وفق أنظمة العبادة، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة 5)

المقصد السابع:

7 (الصراط المستقيم) هو الطريق الوحيد لاتخاذ القرارات الصائبة في التعامل مع الحياة وإقامة النظام العبادي، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6)

المقصد الثامن:

8 (الصراط المستقيم) الحقيقي هو الذي سار عليه المُنْعَم عليهم من السابقين، فهذا المقصد يبين طبيعة الصراط المستقيم، ويصل السابقين من المهاجرين والأنصار باللاحقين في عدم تغيير حقيقة الصراط، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: 7).

المقصد التاسع:

9 حراسة الصراط المستقيم من الخطرين الاستراتيجيين على جانبي الصراط: خطر الوقوع في الغضب الإلهي، وخطر الضلالة المهلكة؛ لحماية الصراط عن اليمين والشمال من الاختراق الخارجي، والداخلي، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)

المقصد العاشر:

10 مبدأ الأمة الواحدة هو وسيلة أصحاب الصراط المستقيم لتحقيق النصر الجماعي، والحماية لأفراد الأمة، ونستنبط هذا من التعبير الجماعي المميز في قوله ﴿نعبد، نستعين، اهدنا﴾، ومن الوصف الجماعي للمنعم عليهم والضالين

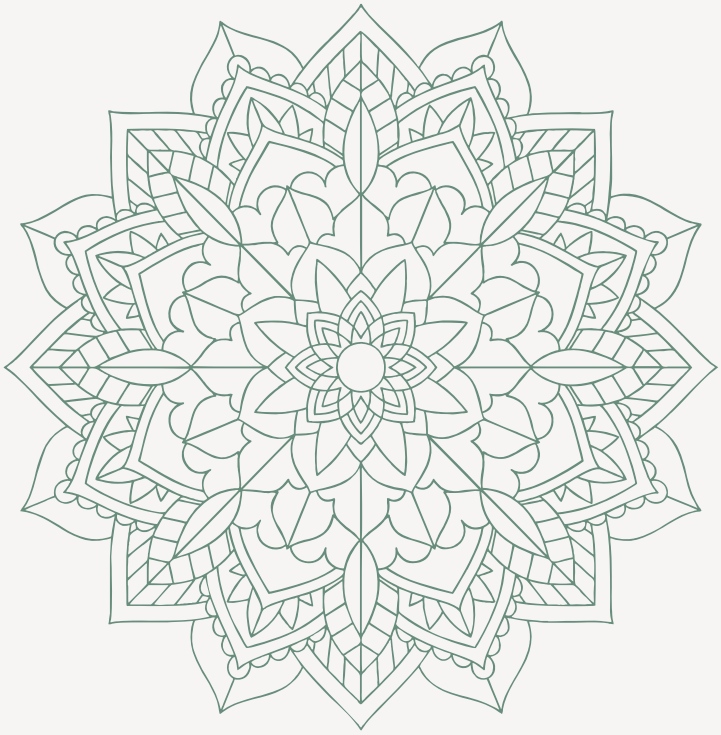

ما المقصد الأول الذي تبصرنا به الآية الأولى من الفاتحة، وهي قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟

الجواب: يتجلى في المقصد الأول الذي تبصرنا به قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 1)

المقصد الأول

التعريف باسم الإله الحق الأول والآخر، والتعريف بأساس صفاته وهي (الرحمة)، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

(الفاتحة: 1)

التعريف باسم الإله الحق الأول والآخر، والتعريف بأساس صفاته وهي (الرحمة)، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 1)

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1
البسملة تُعَرِّفُ العالم باسم إلهِهم الحق الأول والآخر

بصيرة 2
(البسملة) مرسوم تقديمي يوضح أن الرحمة أساس الصفات الإلهية في التصور الإسلامي

بصيرة 3
البسملة مقدمة لحقيقة التوحيد التي هي أعظم الحقائق الكونية

بصيرة 4
(البسملة) أساسٌ يكَمِّلُ الاستعاذة، ويثمر الحماية والرعاية في البدايات

بصيرة 5
قوة التوحيد والتعبد الصادق من العبيد، (فإذا كانت الاستعانة بالاسم تحقق المطلوب، فكيف إذا كان الإنسان في كنف صاحب الاسم علامِ الغيوب)

بصيرة 1

البسملة تُعَرِّفُ العالم باسم إلهِهم الحق الأول والآخر

بصرتنا الآية باسم الإله الملك الحق، وهذا الاسم المبارك هو ﴿الله﴾، فهل له أثر عندما نردده بألسنتنا ذكرًا وتسبيحًا؟

أثر ترديد الاسم الأعظم (الله) على النفس

نطقك بهذا الاسم المجد (الله) يجعل قلبك يمتلئ حبًا وإجلالًا وتعظيمًا وارتياحًا، واطمئنانًا وأُنسًا وانشراحًا، ولذا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: ((لا إله إلَّا اللَّه العظيم الحليم، لا إلَهَ إلَّا اللَّه رَبُّ العرش العظيم، لا إلَه إلَّا اللَّه رَبُّ السَّماوات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم)) «مسلم (2730)»

وقال لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ -رضي الله عنها-:

((أَلاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ -أَوْ فِى الْكَرْبِ- اللَّهُ اللَّهُ رَبِّى لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))

«أبو داود (1525)، وصححه الأرناؤوط».

﴿اللهُ﴾ يا أعذبَ الألفاظ في لغتي ... ويا أجلَّ حروفٍ في معانيها
﴿اللهُ﴾ يا أمتعَ الأسماء كم سعدت ... نفسي، وفاض سروري حين أرويها
﴿اللهُ﴾ أُنسي وبستاني وقافيتي ... ﴿اللهُ﴾ يا زينةَ الدنيا وما فيها
﴿اللهُ﴾ يرتاح قلبي حين أسمعها ... وحين أُبصرها نقشًا وأُمليها
﴿اللهُ﴾ فيها إجاباتي وأسئلتي ... ومن معاني الرِّضا والْحُبِّ صافيها
﴿اللهُ﴾ فيها بياني، بسمتي، طربي ... مشاعري، حاضر البشرى وماضيها
﴿اللهُ﴾ روحي، طموحي، راحتي، سكني ... لا أجْتني الأُنس إلَّا من مغانيها

ناصر الزهراني

لماذا قال الله: ﴿بسم الله﴾ ولم يقل "بالله"؟

لأن معرفة الاسم المعظم ﴿الله﴾ مطلوب في ذاته، فالتعريف بالاسم الأجلِّ الأكرم لخالق الكون يكشف تحريفًا مُفْسِدًا في الأرض

فاكتفى النصارى بالإشارة إليه بأنه (الآب)

واتخذ له اليهود أسماء أخرى مثل: يهوه، وألوهيم، وإيل، والتحقيق أن اسم (ألوهيم) يرجع إلى اسم (الله) كما نصت على ذلك الموسوعة اليهودية، بل ورد فيها كلام يدل على أن الأصل في تسمية الرب في اليهودية هو الاسم بطريقة التصويت العربية...

كيف يرسل الله كل هؤلاء الرسل ثم لا يذكر اسمه العظيم (العَلَم) الذي لا يتغير نطقه مهما اختلفت اللغات؟

ما أَكْثَرَ ما حَرَمَ المُحَرِّفون أنفسَهم من الخير العظيم بمعرفة الاسم الكريم (الله).. ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: 74).

بصيرة 2

(البسملة) مرسوم تقديمي يوضح أن الرحمة أساس الصفات الإلهية في التصور الإسلامي

كيف يدل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على أساس صفات الله؟

الجواب: هذان الاسمان ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يدلان على أساس صفاته التي ترجع إليها بقية الأسماء، فالله -جلّ في علاه- خلق الكون لإظهار رحمته ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: 119)، واسمع إلى النص القاطع الذي يقرر ذلك، ولن تجد أقوى النصوص العالمية يقدر على مضاهاته أو منافسته:

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

(الأنعام: 12)

فَتَحَدَّثْ عن الرحمة -مثلاً- في العوالم المدهشة في العين والوجه والجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي، وعالم القلب، وعالم السمع، والحس لترى عندها أن الرحمة تحيط بك في صور لا يمكنك حصرها ولا إحصاؤها

وقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا تَسْعى، إِذ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

((أترون هذه طارحةً ولدها في النّار؟)) قلنا: لا وهي تقدرُ على أن لا تطرحهُ. فقال: ((اللّه أرحم بعباده من هذه بِولدها))

«البخاري (5999)، ومسلم (2754)».

الرحمة قبل الغضب في الوجود، وإذا غضب الله لأمرٍ يستدعي الغضب فإن صفة الرحمة تغلب صفة الغضب بعد الوجود، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

((إنّ اللّه لَمّا قضى الخلق كَتَبَ عندهُ فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقت غضبي))، وفي رواية: ((إنّ رحمتي غلبت غضبي))

«البخاري (7422)، ومسلم (2754)».

بصيرة 3

البسملة مقدمة لحقيقة التوحيد التي هي أعظم الحقائق الكونية

ما المعاني التي تفيدها الباء وكلمة (اسم) في قولك (بسم الله)؟

الجواب: تُقَدِّمُ الباء وكلمة اسم في قولك (بسم الله) المعنيين الآتيين:

المعنى الأول: الإذن في القراءة مما يفيد الحِلِّية (إباحة القراءة):

فمعنى ﴿بسم الله﴾ أي: أقرأ آياته بعلمه، وإذنه، وتفويضه. فمن أنت أيها المخلوق لتتلو كلام المَلِك العظيم لولا أنه أَذِن لك بذلك.

المعنى الثاني: استمداد القوة والبركة والرعاية والحماية:

فحين تبدأ من كلمة ﴿ بسم الله﴾ ترى فيها قصة البداية للأفعال والتحركات، بل انطلاق الحياة الكونية للمخلوقات، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾ (هود: 41)

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعاء النوم:

(باسمك ربِّي وضعت جنبِي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصّالحين)

«البخاري (6320)، ومسلم (2714)».

بصيرة 4

(البسملة) أساسٌ يكمِّلُ الاستعاذة، ويثمر الحماية والرعاية في البدايات

ما العلاقة بين الاستعاذة والبسملة؟

الجواب: العلاقة بينهما تكاملية رائعة:

فإن كانت الاستعاذة اعتذارًا أمام الله -سبحانه وتعالى- بأنك ضعيف القوة، لا تستطيع أن تنجو من الشيطان الرجيم إلا إذا استعذت بالرحمن الرحيم، فإن البسملةَ مَدْحٌ لطلب التودد إلى الرحمن، فهي ترديدٌ للصفات الشريفة العُلَى لبيان صدق الحب، وطلب القرب.

فالاستعاذة

تدل على أجمل الفِرار، وعلى التخلي عن الشوائب والسيئات والأضرار والأوضار

أما البسملة

فهي اعتزازٌ بالواحد القهار، فهي إثباتٌ للعقائد والأعمال الصحيحة السوية، فالاستعاذة تخلية، والبسملة تحلية.

ما فائدة جعل البسملة في بداية السور؟

الجواب: البسملة علامةٌ على بدايات السُّوَر، وبدايات الأعمال

عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ لا يَعرف فَصْل السورة حتى تنزل عليه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (أبو داود: 788، وصححه المناوي)، وأخذ بعض المحققين مشروعية الاقتداء بالقرآن في افتتاح الأعمال بالبسملة، وفي سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (النمل:30)، بدأ سليمان عليه السلام حديثه بها، أفلا نبدأ أفعالنا وأحاديثنا بها؟

هل البسملة آية من القرآن؟

الجواب: اختلف أهل العلم في كونها من القرآن أو لا عند البدء بالسور

على أننا نختار أنها من الفاتحة تبعًا للمصحف المكي والمصحف الكوفي، ولما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إذا قرأتم فاتحة الكتاب فاقرؤوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ فإنها أُمُّ القرآن والسبع المثاني، و﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة 1) إحدى آياتها» (الدار قطني (1190)، وصححه ابن الملقن)

بصيرة 5

قوة التوحيد والتعبد الصادق من العبيد، (فإذا كانت الاستعانة بالاسم تحقق المطلوب، فكيف إذا كان الإنسان في كنف صاحب الاسم علام الغيوب)

ما الفرق بين ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ و﴿بالله﴾؟

الجواب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ مقام تيمن، وانتساب في العبودية إلى الله

واعتزاز به، واستعانة، وطلب للبركة التي هي الخير المتكاثر، بينما ﴿بالله﴾ مقام استعانة، أو قَسَم فقط، فعندما نقول: ﴿بالله﴾ ربما التبس ذلك بـ (أُقسم بالله)، أما قائل البسملة فيستعين باسمه -تعالى- على قضاء مطلوبه، فإذا كانت الاستعانة بالاسم لها هذا التأثير فكيف بقدرة صاحب الاسم القوي القدير؟!

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾

تعني بكل اسمٍ لله؛ لأن إضافة المفرد إلى المعرفة تثمر العموم، فكأنك سميت بكل اسمٍ لله لطلب قضاء حاجتك.

ما فائدة أمر الله نبيه ﷺ بأن يقرأ باسم الله في أول سورة العلق؟

الجواب: فائدة ذلك أنها اعتراف بالعجز..

فتأمل الآن معي قول النبي ﷺ معترفًا بعجزه عما لم يتعلمه: «ما أنا بقارئ»، وعند ذاك علّم الله تعالى نبيه ﷺ التلاوة فقال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:1) أي: اقرأ مع أنك الأمي مستعينًا باسم ربك العظيم؛ حيث سيُلهمُك القراءة، ويُوفقُك لها، ويعينُك عليها، وكذلك القارئ الذي يستشعر الخوفَ من عدم إحسان القراءة، والتباس الفهم، ويقلق من خذلان التوفيق، وعندها يستعين باسم الله تعالى من خلال ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

على ماذا يدل اهتمام المسلم بالبسملة في جميع شؤونه؟

الجواب: البدء بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ منطلق المسلم في الأحداث العامة والخاصة

ويعكس مدى تمجيده لله، كما يدل على توحيده الذي فيه سكينته وريّاه، وقد علّمَ النبي ﷺ أمته أن تكون استعاذتهم واستعانتهم باسم الله بصورة دائمة، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. ثلاثَ مرات فيضره شيء»، «الترمذي (3388)، وصححه الألباني».

إذا كان المقصد الأول الذي بصرتنا به البسملة: التعريف باسم الإله الحق، فما الدليل على أن الله هو الإله الحق؟

الجواب: هنا يأتي المقصد الثاني الذي تبصرنا به آية الحمدلة:

المقصد الثاني

التعريف بالعالمين (وهم كل المخلوقات في الكون)، وأنهم علامات لا حصر لها على أن اللّه هو الإله الملك الحق، فمنه التربية، ومنهم الحمد، ويبصرنا بذلك قوله تعالى

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[الفاتحة : ٢].

المقصد الثاني

التعريف بالعالمين (وهم كل المخلوقات في الكون)، وأنهم علامات لا حصر لها على أن الله هو الإله الملك الحق، فمنه التربية، ومنهم الحمد، ويبصرنا بذلك قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1 ﴿رَبّ الْعَالَمِينَ﴾ اسم يبين حق الربوبية لله، وبراهين هذا الحق

بصيرة 2 ﴿رب العالمين﴾ اسم يبين حقوق الخلق، وتتلخص في الإنعام المقترن بالتربية.

بصيرة 3 ﴿رب العالمين﴾ دليلٌ على أن الله ليس كمثله شيء فهو ربُّ الخلق أجمعين.

بصيرة 4 (ربُّ العالمين) يُرَبّي تربية كاملة تضعف عندها تربية النظم البشرية الآفلة.

بصيرة 5 ﴿الحمد لله﴾ معراج الوصول إلى الله عز وجل، ومرقاة السعادة والسكينة.

بصيرة 6 ﴿الحمد لله﴾ أجمل ما تتزين به الأفواه، ويردده القانت الأواه.

بصيرة 1

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ اسم يبين حق الربوبية لله، وبراهين هذا الحق

كيف يكون اتصاف الله بربوبية العالم ردًا على خرافة الإلحاد؟

رب العالمين

الجواب: تضمن هذا الاسم (رب العالمين):

أساس البراهين على صدق الربوبية، وخرافة الشرك والإلحاد، فأعظم أدلة ألوهيته ووحدانيته واستحقاقه الحمد أنه ربُّ العالمين أي مُربِّي الكون

وكلمة (العالمين):

تضرب الإلحاد في الصميم؛ فهي تُمَثِّلُ العدد الهائل المدهش الذي يشكل كل جزء فيه دليلًا مبهرًا على الوجود الإلهي، إذ هي جمع عالَم

والعالَم:

اسمٌ لأصناف الأمم، وكل صنفٍ منها عالَمٌ، وهو اسمٌ لِكلِّ جنسٍ يُعلَمُ به الخالقُ

وهنا تدرك عمق الإقناع الذي أوتيه موسى -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- عندما بين من رب العالمين

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(الشعراء: 23-28)

عالَمٌ واحدٌ هو عالم DNA تسبب في إيمان أكبر الملحدين:

هو العالم «أنتوني فلو» بروفيسور الفلسفة البريطاني الذي كان من أشهر المدافعين عن الإلحاد أكثر من نصف قرنٍ تقريبًا، ولكنه وقف باندهاشٍ بالغٍ أمام عالم الشريط الوراثي (DNA)

وفي عام 2007م كتب كتابه المحطم للإلحاد وسط دهشة الملحدين:

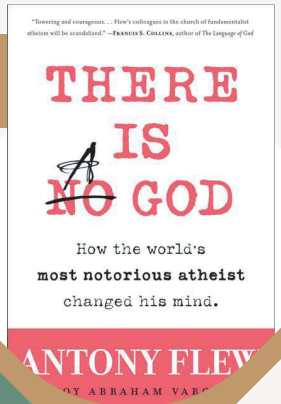

"هناك إله (كيف غير أشهر ملحدٍ رأيه)"

"There is a God"

How the World's Most Notorious Atheist Changed His Mind

وهذا يذكر بقول ابن عطاء -رحمه الله-:

«كيف يُعرف بالمعارف من به عُرِفَتْ المعارف!! أم كيف يُعْرف بشيءٍ من سبق وجودُه وجودَ كلِّ شيء!!».

الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ ... وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ فَيْضٌ مِنْ عَطَايَاهُ

الطَّيْرُ سَبَّحَهُ، وَالْوَحْشُ مَجَّدَهُ ... وَالْمَوْجُ كَبَّرَهُ، وَالْحُوتُ نَاجَاهُ

وَالنَّمْلُ تَحْتَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَدَّسَهُ ... وَالنَّحْلُ يَهْتِفُ حَمْدًا فِي خَلَايَاهُ

وَالنَّاسُ يَعْصُونَهُ جَهْرًا؛ فَيَسْتُرُهُمْ ... وَالْعَبْدُ يَنْسَى وَرَبِّي لَيْسَ يَنْسَاهُ

قانون:

معرفة (العالمين) وهم المخلوقات تؤدي إلى:

معرفة أفعال الخالق، ومعرفة أفعال الخالق تؤدي إلى:

معرفة صفاته، ومعرفة صفاته تؤدي إلى:

معرفة ذاته أي معرفته سبحانه

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الروم: 50).

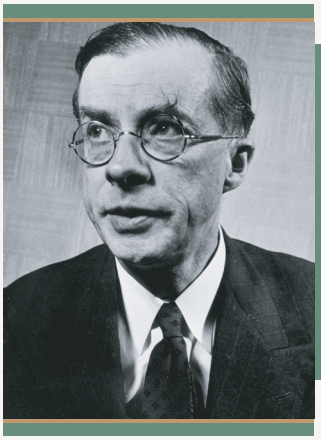

حاول جوليان هكسلي أن يثبت أن الإنسان لا يحتاج إلى خالق، فألف كتابه (الإنسان يقوم وحده) Man Stands Alone أي أن الإنسان لا يحتاج إلى رب، فيمكنه أن يقوم وحده

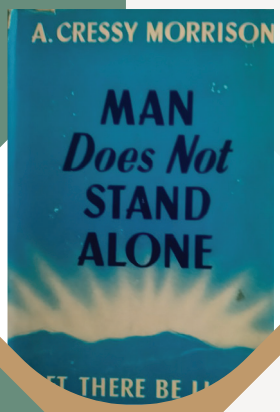

فرد عليه كريسي موريسون الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة بكتابه: (الإنسان لا يقوم وحده Man Does Not Stand Alone يثبت فيه أن الإنسان لا يمكن أن يقوم وحده بل يعتمد في وجوده على رب العالمين.

بصيرة 2

﴿رب العالمين﴾ اسم يبين حقوق الخلق، وتتلخص في الإنعام المقترن بالتربية

ما المعاني الثرية التي تكتنزها كلمة (الرب)؟

الجواب:

"(الربُّ)"

مصدرٌ أو صفةٌ مشبّهةٌ على وزن (فَعْلٍ)، وهي كلمةٌ تدل على ثلاث معانٍ، وباعتبار إضافتها إلى (العالمين) تستلزم معنى رابعًا:

المعنى الأول: السيد المطاع

كما قال تعالى: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ (يوسف: 23) أي سيدي في أحد التفسيرين، وكما قال لَبيد بن ربيعة:

وأَهْلكنَ يومًا ربّ كِندَة وابنَه ... وربّ معدٍّ، بين خَبْتٍ وعَرعَرِ.

المعنى الثاني: المربي المصلح للشيء

أي المربي للخلق حالًا فحالًا؛ فإنه يُدعى ربًّا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ (النساء: 23)، فكلمة (رب) مأخوذة من رَبَّهَ يَرُبُّهُ بمعنى رَبَّاهُ، وهو ربٌّ بمعنى مربٍّ وسائسٍ.

المعنى الثالث: المالك للشيء

فقد قال تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (يوسف: 50). ولكنك تضيف لها معنى رابعًا لا يتصف به إلا (رب العالمين)، إذ كونه مربي العالم يقتضي أن يكون هو خالقهم، وإلا فمن أين أتوا؟

بصيرة 2

﴿رب العالمين﴾ اسم يبين حقوق الخلق، وتتلخص في الإنعام المقترن بالتربية

نعم الله لا تحصى، ولكننا نسأل: ما أمهات النعم التي يربي ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بها العالمين؟

الجواب: أمهاتُ النعم الكبرى التي يربي اللّه سبحانه وتعالى عباده بها، ولا يمكن أن يدعيها أحد:

النعمة الكبرى الأولى: نعمة الإيجاد

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: 9).

النعمة الكبرى الثانية: نعمة الإعداد

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: 4)، فربّاهم سبحانه بعد الإيجاد بالإعداد بالحواس اللازمة ليتعلموا ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾، فهذا هو الإيجاد، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ (النحل: 78) وهذا هو الإعداد.. وكلاهما يوجبان الشكر: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: 78).

النعمة الكبرى الثالثة: نعمة الإمداد

فسخر الله لهم البيئة والمواد الكونية لعلهم يُعملون العقول المفكرة في تحويل التسخير إلى التطوير والتعمير ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: 13)، وذكّر البشرية بأهم عناصر الإمداد في قوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ (نوح: 12).

النعمة الكبرى الرابعة: نعمة الإيفاد

أي إيفاد الرسل إلى الخلق بالهداية للتفريق بين الغي والرشاد، والترغيب في الاستعداد لدار المعاد ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: 165)

النعمة الكبرى الخامسة: نعمة الإرشاد

أي الإرشاد التوفيقي فاختص المؤمنين وأكرمهم بسلوك طريق العابدين ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (البقرة: 105)، ولذا أوصى النبي ﷺ أمته أن يقول الواحد منهم: ((اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري)) «أحمد في المسند (33/197)، وصححه ابن حجر».

بصيرة 3

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دليلٌ على أن الله ليس كمثله شيء فهو ربُّ الخلق أجمعين

كيف نستنبط هذه البصيرة العظيمة من قول الله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟

الجواب: قال ابن عباس رضي الله عنهما مبينًا كيفية استنباط هذه البصيرة من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2):

قال جبريل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: «يا محمد قل: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)»، يقول: قل الحمد لله الذي له الخلق كله: السماواتُ كلهن ومن فيهنّ، والأَرَضُون كلُّهنّ ومن فيهنّ، وما بينهن، مما يُعلم ومما لا يُعلم.

يقول: اعلم يا محمد أن ربّك هذا لا يشبهه شيء، وينبني على إدراك أن الله ليس كمثله شيء بصيرة أخرى، وهي:

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾
"اسمٌ كافٍ للإعلان العالمي عن عبادته باعتزاز وافتخار.."

بمن يعتز عَبَدَةُ الحيوانات في عبوديتهم؟

بمن يعتز عَبَدَةُ الملوك والشجر في خضوعهم؟

بمن يعتز عَبَدَةُ الشمس والقمر والحجر والبشر والشيطان والهوى في عبوديتهم؟

أما نحن فنعتز بعبوديتنا لـ(رب العالمين)
فهو الإله الملك الحق المبين.

بَصِيرَة 4

﴿رب العالمين﴾ يُرَبِّي تربية كاملة تضعف عندها تربية النظم البشرية الآفلة

وجوه تربية الله للعالمين ضخمة كثيرة لا يمكن إحصاؤها.. فما أعظم هذه الوجوه؟

الجواب: وجوه التربية الإلهية للعالم:

الوجه الأول

تبدأ تربيته -تعالى عزُّه- لعباده بإيجادهم من العدم، فمن ذا يقدر على ذلك؟

الوجه الثاني

يُرَبِّي عَبِيدَهُ لَا لِنفع نفسه، ولا لاحتياجه بَلْ لمصالحهم الذاتية.

الوجه الثالث

غيره -جلّ في علاه- إذا ربّى يظهر النُّقصانُ في خزائنه وفي مَاله بقدر تلك التَّربية، أما الملك الحق فقال ﷺ قال: ((يد الله ملأى لا يغيضها -أي ينقصها- نفقةٌ سحّاءُ- أي كثيرة العطاء- اللّيلَ والنّهار -وقال- أرأيتم ما أنفق منذ خلق السّماوات والأرض؟ فإنّه لم يغض- أي ينقص- ما في يده. -وقال-: عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع)) «البخاري (4684)».

الوجه الرابع

حبه للإلحاح في سؤاله حيث يصمد لعباده، واستمراره في تربية عباده بخلاف المربين من الخلق، فقارن وصف الله بالرب بتباهي بعض النصارى بوصف الإله بالأب.

أحسن ابن حزم-رحمه الله تعالى- حيث قال:

لك الحمد يا رب والشكر ثم ... لك الحمد ما باح بالشكر فم
لك الحمد في كلّ ما حالة ... فقد خصني منك فضلٌ وعم
من الماء أنشأتني نطفةً ... ومن بعد ذلك لحمٌ ودم
وأسكنت في جسدي روحَه ... وأجعلتها في طباق الرحم
وأخرجتني بعدُ في عالمي ... وبلغتني درجات الفَهم
فمنك لي البصر المقتفي ... وسمعٌ وذوقٌ ونطقٌ وشَم
وحسٌّ صحيحٌ، وتمييز ما ... خلقتَ بأنواعه من أمم
ومَكّنتني من فنون العلوم ... ببادي الكلام وخَطِّ القلم

بصيرة 5

﴿الحمد لله﴾ معراج الوصول إلى الله، ومرقاة السعادة والسكينة

عندما نمدح الله فإننا نقول: ﴿الحمد لله﴾ فما معنى كلمة ﴿الحمد﴾؟

الجواب: الحَمْدُ هو الثناء الكامل على المحمود لكماله الذاتي، ولإحسانه المتعدي إلى عباده من:

1	2	3
نفعِه ودفعِه:	وإزاحتِه وإتاحتِه:	ونوالِه وإفضالِه:
نفعه بإغداق الخير، ودفعه الآفات والشر والضير.	إزاحته البؤس والشقاء والمأساة، وإتاحته للاستمتاع بالحياة.	نواله أصول النعم، وإفضاله بالمزيد من الكرم؛

إذ يُحَمَدُ الحكيم العليم لما أنزله من النعم، وأعطاه لخلقه من عظيم الكَرَم، ولما اتصف به من جميل الصفات في الأزل والقِدَم، ولهذا نهتف مع سائر الأمم:

لكَ الحمدُ.. ما أولاكَ بالحمدِ والثنا ... على نعمٍ أتبعتَها نعمًا تترى
لكَ الحمدُ.. حمدًا أنتَ وفقتنا له ... وعلمتنا منْ حمدكَ النظمَ والنثرا
لكَ الحمدُ.. حمدًا نبتغيه وسيلةً ... إليكَ لتجديدِ اللطائفِ والبُشرى
لكَ الحمدُ.. كمْ قلدتنا منْ صنيعةٍ ... وأبدلتنا بالعسرِ -يا خالقي- يُسرا
لكَ الحمدُ.. كمْ منْ عثرةٍ قدْ أقلتنا ... ومنْ زلةٍ ألبستنا معها سترا

عبدالرحيم البرعي

كيف تضمنت ﴿الحمد لله﴾ إخبارًا وطلبًا في الوقت ذاته بوجوب حمد الله؟

الجواب: هذه الجملة المباركة فيها إخبار من الله عن حمد الكون له -تقدس ذكره-، وهي في الوقت ذاته طلبٌ من عباده، أراد -عزّ شأنه- أن يُعَلِّم عبادَه كيف يشكرونه، فالمعنى: قولوا الحمد لله رب العالمين

ما العلاقة بين الحمد والشكر؟ ولماذا علمنا الله أن نحمده هنا بدلًا من أن نقول: الشكر لله؟

الجواب: العلاقة بين الحمد والشكر: تتلخص في أن بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا:

فالحمد أعمُّ من الشكر؛

إذ هو الثناء على أحد أمرين: الكمال الذاتي، والإحسان المتعدي، أما الشكر فهو على الثاني فقط، كما قال الناظم:

الشكر صرف العبد ما أولاهُ ... مولاهُ من نُعماهُ في رضاهُ

فالحمد أعظم من الشكر؛ لأنه الثناء المطلق على الله، والمطلوب هنا الحمد اللساني الذي يعكس الإيمان القلبي؛ لذا ذكره الله تعالى دون الشكر.

والشكر أعم من الحمد من جهة المتعلَّق:

فالحمد يكون بالقول غالبًا ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ (النمل: 59)، أما الشكر فهو فعلٌ يشعر بتعظيم المُنْعِم بسبب الإنعام والإكرام، ويكون بالأمور الثلاثة المكونة للإنسان

ويعرف ابنُ القيم -رحمه الله- الشكر بأنه:

«ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه: شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعة»

ولذا قيل:

وما كان شكري وافيًا بنوالكم ... ولكنني حاولت في الجهد مذهبا
أفادتكم النّعماءُ مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المُحَجّبا

بصيرة 6

﴿الحمد لله﴾ أجمل ما تتزين به الأفواه، ويردده القانت الأواه

ما الوجوه التي تبين الآفاق النورانية للحمدلة أي لقولنا: ﴿الحمد لله﴾؟

الجواب: من الوجوه التي تبين الآفاق النورانية للحمدلة:

الوجه الأول:

الحمدلة تعكس الجمال والكمال في المحمود، والسعادة وراحة البال في الحامد، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ)) «مسلم (223)»

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الَّذِي تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَتَحْمِيدِهِ، وَتَهْلِيلِهِ تَتَعَطَّفُ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ، كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟)) «أحمد (18388) وسنده صحيح».

الوجه الثاني:

الحمدلة ثمانية أحرف، وأبواب الجنّة ثمانيةٌ، فيرجى أن تكون جميعًا مفتوحةً لمن ردّدها بصفاء نفسٍ، وصدق عزمٍ، وجمال إقبالٍ، وقوة إخلاصٍ...

إليك، عظيمَ العفو، أشكو مواجعي ... بدمع على مرأى الخلائق لا يجري
ترحّل إخواني.. فأصبحتُ بعدهم ... غريبًا.. يتيمَ الروح والقلب والفكرِ
لك الحمد.. والأحبابُ في كل سامرٍ ... لك الحمد.. والأحباب في وحشة القبرِ

غازي القصيبي

الوجه الثالث:

الحمد لا حصر لعدده؛ ولذا تفنن الصالحون في (حَمْدِ الله)، فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذكرٍ يعادل اليوم والليلة:

((الحمد لِلّه عدد ما خلق، والحمد لِلّه ملءَ ما خلق، والحمد لِلّه عدد ما في السّماوات وما في الأرض، (والحمد لِلّه ملءَ ما في السّماوات وما فِي الأرض)، والحمد لِلّه عدد ما أحصى كتابه، والحمد لِلّه ملءَ ما أحصى كتابه، والحمد لِلّه عدد كلِّ شيءٍ، والحمد لِلّه ملءَ كلِّ شيءٍ)) «أحمد (22198)، حديث صحيح لغيره» وأثنى على رجلٍ قال: رَبّنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه (كما يحب ربنا ويرضى)، فلمّا انصرف، قال: «من المُتَكلّم؟» قال: أنا، قال: (رَأيتُ بِضعةً وثلاثين مَلَكًا يبتدرونها، أيُّهم يكتبها أوّلًا) «أحمد (19018) وصححه الأرناؤوط».

لماذا كانت ﴿الحمد لله﴾ أبلغ من قولك: (أَحْمَدُ الله)؟

الوجه الرابع:

الجواب: ﴿الحمد لله﴾ أبلغ من (أَحْمَدُ الله)؛ لأن الله حَمِد بذلك نفسه قبل حمد الحامدين، وقبل شكر الشّاكرين

فـ(ال) في (الحمد لله) للاختصاص اللّائق وللْمِلْك الفائق، وللاستحقاق، ولذا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)) «مسلم (223)».

الوجه الخامس:

الحمدلة تقتضي ثلاث مقتضيات:

1. تفضل الله على عباده
2. وإقرار الحامد بأن المحمود هو الإله الحق الذي له صفات العظمة،
3. والطمأنينة والراحة والسكينة

كما قيل:

لك الحمد... والأحلامُ ضاحكةُ الثغرِ ... لك الحمد... والأيامُ داميةُ الظُفر
لك الحمد... والأفراح ترقصُ في دمي ... لك الحمد... والأتراح تعصف في صدري

غازي القصيبي

وقال الآخر:

ربِّ لك الحمدُ لا أُحصي الجميلَ إذا ... نفثتُ يومًا شَكاةَ القلب في كُرَبِ!
فلا تُؤاخذ إذا زلّ اللسانُ، وما ... شيءٌ سِوى الحمدِ في الضّراءِ يَجْمُلُ بي
لك الحياةُ كما تَرضى. بشَاشتُها ... فيما تُحبُّ، وإن باتت على غضبِ
رضيتُ في حُبِّك الأيامَ جائرةً ... فعلقَمُ الدّهرِ إن أرضاكَ كالعَذبِ

عصام العطار

إذا كان المقصد الأول بصرنا باسم الإله الحق، والمقصد الثاني بصرنا بأن العالمين تمثل أدلة لا تحصى على أنه -تعالى مجده- هو الإله الحق، هنا يأتي السؤال: فلماذا خلق الله العالمين الذين يمثلون الطبيعة، ولماذا أنزل لهم القرآن ليكون لهم شريعة؟

الجواب يتجلى في المقصد الثالث الذي تبصرنا به قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3):

المقصد الثالث

الرحمة هي السبب في خلق الطبيعة وإنزال الشريعة، فإشاعة الرحمة أهم أهداف خلق الوجود وإرسال الرسل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3)

المقصد الثالث

الرحمة هي السبب في خلق الطبيعة وإنزال الشريعة، فإشاعة الرحمة أهم أهداف خلق الوجود وإرسال الرسل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3)

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1

إشاعة الرحمة ونشرها أساس الإرادة الإلهية لخلق الوجود وإرسال الرسل بالرسالة الإسلامية، فهي أهم الأهداف في الرسالة الإسلامية

بصيرة 2

الرحمة في التَصَوُر الإسلامي مطلوبةٌ غايةً ووسيلةً، وابتداءً وانتهاءً

بصيرة 3

حقيقة الخلق والأمر هي الرحمة الإلهية، وإن ظهر من بعض صورها غير ذلك.

بصيرة 1

إشاعة الرحمة ونشرها أساس الإرادة الإلهية لخلق الوجود وإرسال الرسل بالرسالة الإسلامية، فهي أهم الأهداف في الرسالة الإسلامية

ما فائدة تكرار هذين الوصفين ﴿الرحمن الرحيم﴾ هنا بعد أن تقدم ذكرهما في البسملة؟

الجواب: التَكرار الذكريُ لهذين الوصفين العظيمين ﴿الرحمن الرحيم﴾

يزيد في الشعور الغامر برحمة الله في عقل المسلم؛ إذ يكرر المسلم قراءة هذين الوصفين الجليلين أربعًا وثلاثين مرة في اليوم في الصلوات الخمس

فالرحمة:

أساس التشريعات والنظم الإسلامية، وهدف تطبيقاتها

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)

ما سر التعبير باللام في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، ولمَ لمْ يقل (رحمة بالعالمين)؟

الجواب: الرحمة (للعالَم) أعظمُ من الرحمة (بالعالَم)

لأن هذا التعبير ﴿رحمة للعالمين﴾ يقتضي نشر الرحمة بين أجزاء العالم المليئة بالظلم والفساد والقسوة، لتكون الرحمة ثقافة العالم، وطبيعته؛ والشرع إنما وضع للمصلحة الإنسانية، والرحمة بعامة البشرية، وما وجد فيه من تكاليفَ شاقَّة -كالحدود- فهي تعود في أصلها إلى الرحمة، والحفاظ على الحياة كما قال تعالى:

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ (البقرة: 179)

ومن يُنَفّر من الشريعة، ويستخدم الإرهاب الإعلامي لصد الناس عنها إنما يحاول تدمير حقوق الإنسان ومصالحه، ويسعى كي يبغي الحياة عوجًا، ويُدَمّرُ أجملَ الفرص التي أُتيحت للناس للحصول على السعادة.

لماذا ذكر الله عز وجل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في (البسملة) قبل ذكر العالمين؟ وما فائدة مجيئهما قبل قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؟

الجواب: ذكر الله هذين الوصفين في الآية الأولى (البسملة) قبل ذكر العالمين (الحياة الدنيا) ليؤكد على غلبة الرحمة في صفاته قبل خلق العالمين (الحياة الدنيا)، وذكرهما في الآية الثالثة قبل ذكر يوم الدين في قوله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: 4) (الحياة الأخرى) ليبين أن الرحمة هي الغالبة في حساب يوم الدين في الآخرة

فقارن هذه الرحمة الواسعة بما ورد في «العهد القديم» حول أسطورة برج بابل في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين -من كلام ربما اعتراه التحريف جزءًا أو كلًا فنحن نؤمن أن الله آتى موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وهدى ورحمة-:

6 وقال الرب: هو ذا شعبٌ واحد، ولسانٌ واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. 7 هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. 8 فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة. 9 لذلك دُعِي اسمها بابل؛ لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض.

بصيرة 2

الرحمة في التَصَوُّر الإسلامي مطلوبةٌ غايةً ووسيلةً، وابتداءً وانتهاءً

كيف تكون الرحمة مطلوبة في التصور الإسلامي؟ وما الفرق بين معنى ﴿الرحمن﴾، و﴿الرحيم﴾؟

الجواب: يظهر ذلك من خلال معرفة الفرق بين هذين الاسمين العظيمين:

1 الرَّحْمَنُ: هو الْمُنعِمُ بِمَا لَا يُتَصَوَّر صُدُورُ جِنْسه من العباد	وَالرَّحِيمُ: هو المُنعِمُ بِمَا يُتَصَوَّر جنسه من العباد.
2 هو تعالى رحمنٌ لأَنَّه يَخلُقُ ما لا يقدر العبد عليه	رحيمٌ لِأَنَّه يفعل ما لا يقدر العبد على جِنسِه.
3 الرحمن رحمانٌ بالمسلمين والكافرين والخلق أجمعين	والرحيم زيادة اختصاص بإعطاء رحمةٍ ومَزِيةٍ للمؤمنين.
4 و الرحمن يُنعم بجلائل النعم، وعظائمها	قيل: الرحيم الذي يُنعم بدقائق النعم، وتفاصيلها

وبما أنه لا يوجد دليلٌ فصلٌ يحسم بين تلك الأقوال؛ فيمكن تصحيح كل تلك المعاني فالتنوع في فهم الفرق بين الاسمين يبين لنا اتساع مجالات الرحمة، فالرحمة تكون في الوسائل كما هي في الغايات، وتكون في المبادئ كما هي في العواقب، وتكون في المقدمات كما هي في النتائج، وتكون في الشرائع والنظم والشعائر والمسؤوليات كما هي في الجزاء والثواب والمكافآت، وتكون في الصغائر والخفي من المسائل، كما هي في العظائم والجلي من أمور الحياة..

ما فائدة الجمع بين الصفتين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟

الجواب: يلخص السهيلي -رحمه الله- ذلك فيقول:

«وفائدة الجمع بين الصفتين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3) الإنباء عن رحمةٍ عاجلةٍ وآجلةٍ، وخاصةٍ وعامةٍ».

لماذا قدّم الله اسمه (ٱلرَّحۡمَٰنِ) على اسمه (ٱلرَّحِيمِ)؟

الجواب: قدّم الله اسمه (الرحمن) على اسمه (الرحيم) لأنه حرّم على الناس أن يَتَسَمّوا ببعض أسمائه كالرحمن والخالق بخلاف غيرها من الأسماء كالسميع والبصير، فقدّم الاسم الخاص به دون جميع خلقه، ومما يدل على هذه البصيرة أن الله عدد الأسماء المشتقة من الرحمة وخص نفسه باسم (الرحمن)، وهو اسم لا يتسمى به الخلق.. فهلا أظهر الخلق الرحمة فيما بينهم عسى أن ينالوا مزيداً من رحمته في الدنيا والآخرة

ومن أجمل التقاليد العلمية الشرعية أن أهل العلم تعارفوا على جعل حديث الرحمة المسلسل بالأولية أول ما يسمعه طلبة العلم والعلماء فيما بينهم في المجالس العلمية المشتركة، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)

«أبو داود (4941)، والترمذي (1924) قال الترمذي: حسن صحيح»

وأخذ أبو القاسم بن عساكر -رحمه الله- هذا المعنى فقال:

بادر إلى الخير يا ذا اللب مغتنمَا ... ولا تكن من قليل العرف محتشمَا
واشكر لمولاك ما أولاك من نِعمٍ ... فالشكر يستوجب الإفضال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعهم ... فإنما يرحم الرحمن من رحما

بَصِيرَة 3

حقيقة الخلق والأمر هي الرحمة الإلهية، وإن ظهر من بعض صورها غير ذلك

ربما انبعث بعض المعترضين مزمجرًا: كيف تزعمون أن رحمة الله عامةٌ وأنتم تنظرون إلى الحوادث المؤلمة التي تصيب البشرية؟

هذا السؤال كان مفتاحًا لعالم الرياضيات (جيفري لانغ Gwffery Lang) للدخول في الإسلام، وألف كتابه (الصراع من أجل الإيمان Struggling to Surrender) بناء على تجربته التي بها أبصر نور الحقيقة في القرآن.. نعم هو تساءل كما يتساءل أي إنسان عن سر وجود الآلام في الحياة، وهل ينافي ذلك أن الله هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء؟.

الإجابة المختصرة على سؤال:

كيف تزعمون أن رحمة الله عامة مع وجود الحوادث المؤلمة؟

تتضح من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول: 1

الْحَوَادِث التي تحدث للعباد قسمان:

القسم الأول

ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، كالْوَالِد إذا أَهمَلَ وَلَدهُ حتّى يفعل ما يشاءُ ولا يُؤَدِّبُهُ.

القسم الثاني

ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، كَالوَالِد إذَا حبس وَلَدَهُ للعلم، والإنْسانِ إذا وقع في يده مرض الآكلةُ (التي تسبب تآكل الجسد)، فإذا قُطعت تلك اليد فهذا في الظّاهر عذابٌ، وفي الباطن راحةٌ ورحمةٌ.

هناك ظواهر تنافي الرحمة في ظاهرها، فكيف يقال إن حقيقة الخلق والأمر الرحمة حينئذ؟

الجواب: الظواهر التي يُظنُّ أنها منافيةٌ للرحمة هي الرحمة بعينها:

كل ما وجد من المصائب هو لصالح بني الإنسان بالنظر إلى اختبار العاجلة ونتائج الآجلة، فالغافل يَغْتَرُّ بالظَّوَاهِرِ، وَالْعَاقِلُ يَنْظُرُ إلى الحقائق ولو كانت من السَّرَائِرِ، وينظر لها بعين بصيرته، ولذا قال الخضر لما أبان الحق، وأظهر الحِكَم والأسرار: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: 82)

واللافت للنظر أن هذه القصة الرائعة تمثل القدر بحذافيره؛ إذ ترى فيها الخضر عليه السلام الذي يمثل القدر الغيبي الذي لم يستطع عظيم مثل موسى عليه السلام أن يصبر عليه، وقد وصف الله الخضر بما يصلح أن يكون وصفًا للقدر ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: 65)

فكلمة ﴿عبدًا﴾	←	تدل على ملك الله
وكلمة ﴿رحمة﴾	←	تدل على الأصل في أفعال الله
وكلمة ﴿علمًا﴾	←	تدل على العلم الذي يغيب عن المشاهدة.

البلاء الدنيوي ابتلاء يعقبه أجمل الجزاء في الآخرة لمن صبر

قال رسول اللّه ﷺ قَالَ:

((ما من مُسلمٍ يُشَاكُ شوكةً فما فوقها إلّا كتبت له بها درجةٌ، وَمُحِيت عنه بها خطيئةٌ))
«مسلم (2572)»

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((يود أهل العافية يوم القيامة -حين يُعطى أهل البلاء الثواب- لو أن جلودهم كانت قُرِضَتْ في الدنيا بالمقاريض)) «الترمذي (2402)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (8177)».

الإجابة المختصرة على سؤال:

كيف تزعمون أن رحمة الله عامة مع وجود الحوادث المؤلمة؟

تتضح من خلال الأمور الآتية:

الأمر الثاني: 2

التكاليف وضعت للمصلحة الإنسانية وإن كانت خلاف الأهواء والشهوات:

فهي كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: 7)، وتَركُ الخير الكثير لأجل الشَّرِّ القليل شرٌ كثيرٌ، فترك التكاليف لأنها تقيد الرغبات والأهواء يؤدي إلى شرور الضيق والبؤس والعناء كتقييد أهواء محبي السرعة بنظام المرور، وانظر ذلك حين شعرت مريم -عليها السَّلام- بالخوف من المستقبل بسبب ما قُدِّر لها، فقال الله لها: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: 21).

الأمر الثالث: 3

من الرحمة خلق النار؛

فإن المقصود من خلقها صرف الأشرار إلى الأعمال الصالحة الإيجابية المثمرة.. إلى أعمال الأبرار.. هاهنا ترى الخلائق يفرون إلى ربهم، ويعيدون صياغة حياتهم وفق ما يُصلح الأرض وينفع الناس، لا وفق الأنانيات الشخصية، والطمع الفردي، وتأمل ذلك بصورةٍ واضحةٍ رائعة الترتيب، شائقة الأسلوب في سورة الليل من أولها حتى تصل إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ (الليل: 14 - 18).

إذا كان المقصد الأول عرفنا باسم الإله الحق، والثاني بصرنا بالأدلة التي لا تحصى على أن الله هو الإله الحق، والثالث بصرنا بأن الرحمة هي الهدف من خلق الطبيعة وإنزال الشريعة، فهل يستمر وجود هذا العالم بلا نهاية؟ وكيف تتحقق الرحمة للعالم، والمظلومون يموتون دون أن يسعدوا؟

الجواب يتجلى في المقصد الرابع الذي تبصرنا به قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة: 4)

المقصد الرابع

التعريف بقصة نهاية العالم في الحياة الدنيا، وتطبيق العدل الإلهي الكامل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾

(الفاتحة: 4)

المقصد الرابع

التعريف بقصة نهاية العالم في الحياة الدنيا، وتطبيق العدل الإلهي الكامل، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾

[الفاتحة: ٤]

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ تختصر قصة نهاية التاريخ في الحياة الدنيا

بصيرة 2

﴿ٱلدِّينِ﴾ هو النظام الذي يدين به الناس في الدنيا، ويدانون وفقه في الآخرة

بصيرة 3

﴿الله﴾ هو الملك المالك ليومٍ يحاسب فيه الخلق على نظامهم الدنيوي

بصيرة 4

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ تمجيدٌ لبيان هيبة العدل، وتفويضٌ لبيان جمال الرحمة والفضل

بصيرة 5

﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ هو أعظم حلٍّ لإيجاد التنمية الصادقة في المجتمعات

بصيرة 1

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ تختصر قصة نهاية التاريخ في الحياة الدنيا

ما المناسبة والاتصال بين هذه الآية والآيات السابقة لها؟

الجواب:

آية البسملة	تتكلم عن قصة البداية العالمية للكون مادةً ونظامًا.
وآية الحمدلة	تتكلم عن تربية العالمين إيجادًا، وإعدادًا، وإمدادًا، وإيفادًا.
وآية الرحمة ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة: 3)	تتكلم عن اقتران الخلق والتربية بالرحمة.

وهذه الآية آيةُ الملك الأخروي ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة: 4)

تبين قصة النهاية للكون المنظور، وبدء الحياة الحقيقية التي تترتب على البداية الاختبارية في الدنيا، فالبداية اختبارٌ على تطبيق مقتضيات تربية العالمين، ونهاية هذا العالم هو (يوم الدين)، ففيه يظهر العدل الكامل، حيث ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ (البقرة: 281).

كيف ترد هذه الآية ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ على شبه الدهريين والوثنيين؟

الجواب: هذه الآية تقدم الجواب عن السؤال الكوني الوجودي

"(إلى أين نذهب، وإلى أين المسير والمصير؟)"

فبينت معالم الحل للمشكلة الفلسفية العميقة التي يثيرها الدهريون والوثنيون حينما قال أحدهم:

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ/ ولقد أبصرتُ قدّامي طريقا فمشيتُ وسأبقى ماشيًا إن شئت هذا أم أبيت/ كيف جئتُ؟ كيف أبصرت طريقي ؟

لست أدري!

أتراني قبلما أصبحت إنسانًا سويًا/ أتراني كنت محوا أم تراني كنت شيئًا ألهذا اللغز حل أم سيبقى أبديًا/ لست أدري ..... ولماذا لست أدري؟

لست أدري!

اقرأ عليه الفاتحة وقل له:

إنّني أدري وأدري لِمَ ياهذا أتيتُ/ جئتُ عبدًا لإلهِ الكونِ. ويلي إنْ عصيتُ جئتُ مخلوقًا بأمرِ الله بالدُّنيا ابتُليتُ/ كلّ مافي الكونِ مثلي عن مرادِ اللهِ يدري جاهِلٌ من قال يومًا: لستُ أدري لستُ أدري هذه الدّنيا ستمضي فممات فنشورُ/ فحِسابٌ فنعيمٌ، أو عذابٌ وسعيرُ لخلودٍ قدْ خُلِقنا هكذا قال القديرُ/ فلهُ الحمدُ فلولا فضلهُ ما كنتُ أدري كيف بعد الهدي نهذي لست أدري لستُ أدري.

بصيرة 2

﴿ٱلدِّينِ﴾ هو النظام الذي يدين به الناس في الدنيا، ويدانون وفقه في الآخرة

ما المراد بكلمة (الدين) لغةً؟

الجواب: كلمة (الدين) تأتي في العربية على ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول

دانه أي: ملكه وحكمه وساسه، ودبّره وقهره، وحاسبه وجازاه وكافأه، فهي تدور على الملك والتصرف والمحاسبة ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات: 53) أي محاسبون، وقال النبي ﷺ: ((الكَيِّسُ من دان نفسه)) «الترمذي (2459) وقال حديث حسن».

المعنى الثاني

دان له أي: أطاعه وخضع له، فالدين هو النظام الذي يتم الخضوع له، والقانون الذي يتبعه الإنسان في حياته،، ويدل لهذا المعنى قول المُثَقِّب العبدي:

إذا ما قمتُ أَرحلُها بليلٍ
تأوَّهُ آهةَ الرَّجلِ الحزينِ

تقولُ إذا دَرأْتُ لها وَضِيني
أهذا دينهُ أبداً ودِيني؟

المعنى الثالث

دان بالشيء أي: اتخذه دينًا ومذهبًا فاعتقده أو اعتاده، فالدين هنا بمعنى: المذهب والطريقة والنظام والمنهج المتبع.

(فكلمة الدين) تجمع بين معنيين متقابلين في الوقت ذاته: المنهج المتبع في الدنيا والجزاء على هذا المنهج في الآخرة.

بصيرة 3

﴿الله﴾ هو الملك المالك ليومٍ يحاسب فيه الخلق على نظامهم الدنيوي

ما المشاهد التي تصورها القراءتان ﴿مَلِك﴾، ﴿مَالِك﴾؟

الجواب: هاتان الصفتان (الملكية والمالكية) تجتمعان في مشهدين بسبب القراءتين العظيمتين الواردتين في الآية:

المشهد الأول:

توضحه قراءة ستة من العشرة القراء ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ من المُلك الذي يعني الحكم، فله الملك الكامل الذي يعني العلم الكامل، والقدرة المطلقة ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: 7، 8)

وما أبلغ ما وعظ به الأوزاعي -رحمه الله- أبا جعفر المنصور في هذه الآية حيث قال له: «يا أمير المؤمنين تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جَدّك -أي: ابن عباس- ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ (الكهف: 49) قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك، فكيف بما عملته الأيدي والألسن».

وقرأ النبي ﷺ على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (الزمر: 67) ثم قال:

((يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أنا الملك أين مُلُوكُ الأرض، (أين الملوك؟ أين الْجَبَّارُون؟ أين الْمُتَكَبِّرُون؟))، ((يُمَجِّد الربُّ نفسَه (أنا الرحمن)، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، (أنا المتعال))) «البخاري (4812)، ومسلم (2787)».

المشهد الثاني:

توضحه قراءة الباقين ﴿مالكِ يوم الدين﴾ من المِلْك والمالِكية، أي هو المتملِّك للمنافع والذوات، والأشخاص والمخلوقات والأنفاس والمشاعر والأفكار والإحساسات حتى تنطق له أعضاء الإنسان يوم القيامة، فهو المِلك المالك العظيم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ (فصلت: 20-21). فمن ذا الذي يملك ذلك من أجهزة المخابرات أو جبابرة الأرض؟

بصيرة 4

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ تمجيدٌ لبيان هيبة العدل، وتفويضٌ لبيان جمال الرحمة والفضل

هنا الجواب عن السؤال الذي يصطاد به الملحدون ضحاياهم.. يقولون: إن كان الله حقًا فلماذا لا ينصر المظلومين.. أين الله من أنين المستضعفين؟

تجيب هذه الآية على ذلك؛ إذ يقول الله -تعالى ذكره- لمن قرأ هذه الآية: ((مجدني عبدي)) لأنه ينسب إليه -تعالى ذكره- تحقيق العدل التام بين الخلائق في ذلك اليوم، فيوم الدين هو يوم القسط الأكبر، وإثباته من أعظم الأدلة على تمجيد الله، فهذه وظيفة اليوم الآخر، وغايته: ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ (طه: 15).

ما دلالة الرواية الأخرى ((فوض إلي عبدي))؟ وكيف يكون هذا التفويض موضحًا لجمال الرحمة؟

الجواب: قول الله في الرواية الأخرى ((فوض إلي عبدي)) فلأن العبد ينتظر منه أعظم الرحمة والفضل في ذلك اليوم العبوس القمطرير، ويظهر التفويض بقراءة هذه الآية عندما نلاحظ الاتصال الخاص بين هذه الآية وما قبلها مباشرة، فالعبد قدّم الثناء عليه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3)، ثم انتقل إلى يوم الدين، كأنه فوّض لله تعالى أمره، واعتقد أنه رحمن رحيم مع ملكه ليوم الدين.. هنا تعلم جمال الدعاء الذي علمنا إياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند النوم حيث تحتمل أن تكون نومة لا يقظة بعدها فتفوض أمرك إلى الله وتقول: ((اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لاَ مَلْجَأَ، وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)) «البخاري (247)، ومسلم (2710)».

إنه يوم تفويض العباد ربهم في منحهم رحمته التي قال ﷺ عنها: ((إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) «مسلم (2752)».

بصيرة 5

﴿يوم الدين﴾ هو أعظم حلٍّ لإيجاد التنمية الصادقة في المجتمعات.

كيف يعالج الإيمان بيوم الدين ظاهرة انعدام الضمير؟

الجواب: هذه الآية تبين الحل والمخرج أمام ظاهرة انعدام الضمير الإنساني والعالمي.. إنه يكمن في الإيمان بهذه الحقيقة (يوم الدين).. فقد جعل الإسلام الإيمان بيوم الدين من أعظم الأسس الإيمانية والأمنية فقرنه كثيرًا بالإيمان بالله، وقيد الله العظيم مُلكه ومالكيته في هذه الآية بيوم الدين مع أنه ملك الدنيا والآخرة ومالكهما تعظيمًا ليوم الدين، فكأن الدنيا لا تساوي شيئًا أمامه ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ (العنكبوت: 64) أي لهي الحياة الحقيقية:

إلى كم تَمَادى في غُرورٍ وغفلةٍ ... وكم هكذا نومٌ إلى غير يَقظَةِ
لقد ضاع عُمرٌ، سَاعَةٌ منه تُشْترى ... بِملءِ السَّمَا وَالأَرْضِ أَيةَ ضيعَةِ
أَيُنْفَقُ هَذا في هوى هذه التي ... أبَى اللهُ أن تُسوى جناح بعوضةِ
أَتَرضَى من العيش الرَّغِيْد وَعِيْشَةٍ ... مع المَلأ الأَعْلَى بِعَيش البَهِيمةِ
أَفَانٍ بِباقٍ تَشتَرِيْهِ سَفَاهَةً ... وسُخطًا برضوانٍ، ونارًا بجَنَّةِ

الشاعر: ابن المُقري

ما الآثار الإيجابية للإيمان بيوم الدين على الفرد والمجتمع؟

الجواب: يترتب على الإيمان بيوم الدين والخوف من سوء الحساب الاستقرارُ الأمني، والصدقُ الوظيفي، والسِلمُ الاجتماعي، والانضباط الإداري، والفزع القلبي من التقصير في الواجب، فينمو الضمير الذاتي، والمحاسبة الشخصية، ويتعزز الشعور بالمساواة بين بني آدم -عليه السلام-، وتختفي العنصريةُ والتمييزُ والشعورُ بالعجب والكبر المدمر للنفسية الإنسانية كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (القصص: 83).

ما أسباب اقتران ملك الله ومالكيته بيوم الدين؟

الجواب: قيد الله ملكه ومالكيته بيوم الدين مع أنه مالك الدنيا والآخرة لسبب ثانٍ أيضًا هو بيان المفهوم الإسلامي العظيم في حرية الإرادة والاختيار البشري، فهو سبحانه أعطى شيئًا من المُلك والملِك للبشر قبل يوم الدين اختبارًا، فاختار بعضهم أن يقول ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: 24)، واختار بعضهم أن يقول:

ولستُ أُبالِي حين أُقْتَل مُسلمًا ... على أيِّ شقٍّ كان لِلّه مَصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يَشأ ... يُبارِك على أوصال شِلوٍ مُمَزَّعِ

(خُبَيب بن عَدي رضي الله عنه)

أما يوم القيامة فيسلب عنهم ذلك كله، فلا ملك لهم حتى على أعضائهم في ذلك اليوم الحق ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (يس: 65)، إنهم لا يملكون لأنفسهم شيئًا ذلك اليوم كما قال تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (غافر: 16).

إذا كان المقصد الأول عرفنا باسم الإله الحق، والثاني بصرنا بالأدلة التي لا تحصى على أن الله هو الإله الحق، والثالث بصرنا بأن الرحمة هي الهدف من خلق الطبيعة وإنزال الشريعة، والرابع بصرنا بقصة نهاية العالم، فماذا يصنع المرء ليجد السعادة يوم الدين؟ وكيف يعمل وهو يعيش في عالم الدنيا؟

الجواب: هنا يأتي المقصد الخامس الذي تبصرنا به قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾:

المقصد الخامس

التعريف بوظيفة العالمين، وهي الالتزام بأنظمة العبادة الموحدة للّه وذلك لتحقيق السعادة في الحياتين ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

(الفاتحة: 5)

المقصد الخامس

التعريف بوظيفة العالمين، وهي الالتزام بأنظمة العبادة الموحدة للّه وذلك لتحقيق السعادة في الحياتين ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة: 5)

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1

(العبادة) هي البرنامج الحياتي العملي الذي يدل على صدق التوحيد.

بصيرة 2

(النظام العبادي) هو النظام الإلهي المنَظم للحياة الجالبِ للإنسانية السعادة.

بصيرة 3

(العبادة) هي طريق البشرية للتحرر الحقيقي وللسيادة والريادة.

بصيرة 1

(العبادة) هي البرنامج الحياتي العملي الذي يدل على صدق التوحيد.

لماذا قدّم الله المفعول (إياك) على الفعل (نعبد)؟

الجواب: حصر الله العبادة القائمة على التوحيد به حيث قدم المفعول (إياك) على الفعل (نعبد)؛ لإفادة انحصار العبادة فيه وله -جلّ مجده-، وبما أننا عرفنا الجواب عن السؤالين الوجوديين الكبيرين:

(من أين جئنا؟) و (إلى أين نذهب؟)

يبقى الجواب على السؤال الثالث:

(لماذا؟)

الجواب: لنجد أن الله فرض برنامجًا يبين وظيفة الحياة الوجودية، ويؤدي إلى إصلاح النفس الإنسانية، واستقامة الحياة وعدم اعوجاجها، ويحقق الانسجام مع بقية مخلوقات الكون وأنظمتها

ويتلخص هذا البرنامج في (المنهاج العبادي القائم على توحيد الله)

ويتم الجزاء (يوم الدين) بناء على القيام بهذا البرنامج والالتزام بتفاصيله، فمن عرف (توحيد الربوبية) في آية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2) لا بد أن يقرر (توحيد الألوهية ويدرك الكمال الذي لا يحيط به بشر في أسماء الله وصفاته) فيقول -إن كان يعقل-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5).

ما أهمية نظام العبادة في الإسلام؟

الجواب: نظام العبادة في الإسلام يُمَثِّل البناء الحقيقي العملي لتوحيد رب الأرض والسماء، ويُشكل الحصن الواقي من الشرك والرِّياء.

ما أنواع الرياء الذي تنسفه هذه الآية؟

الجواب: الرِّيَاء الذي تنسفه هذه الآية ببرهان العبادة نوعان:

1 رياء النِّفاق:

وهو العمل لأجل رؤية الناس، فتأتي هذه الآية المباركة مذكرة بالتوحيد المنافي للرياء

2 ورياء العادة:

وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسرِّه وفائدته وأهدافه ومقاصده، وبذا فإن الآية تبني قيمة الاعتزاز بالله من خلال بناء حس العبودية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)، فكلُ من كان لله أعبد وأذل كان عند الله أعزّ وأجلّ، كما قيل:

ومـمـا زادني شـرفًا وتـيهًا ... وأسكـرني، ولم أَحْسُ الحُمَيّا
فَدُسْتُ عـلى الأثيـر وما حـواه ... وكدتُ بـأخمصي أطـأُ الثريا
دخولي تحـت قـولك يا عبادي ... وتقـريبي، وإن كنـتُ القصيا
وأن سَـوّرتَ بـالتوحيـد قلـبي ... وأن صـيّرتَ أحمـدَ لي نـبيا

عثمان الموصلي

بصيرة 2

(النظام العبادي) هو النظام الإلهي المنّظم للحياة الجالبِ للإنسانية السعادة.

ما النظام العبادي في الإسلام؟

الجواب: النظام العبادي في الإسلام هو النظام الأنجح لقيادة الحياة الإنسانية

فهو النظام الشامل لكل المجالات الحياتية، المبرمج لها وفقًا لما وضعه خالقها، وأراده صانعها، فالعبادة مأخوذةٌ من تعبيد الطريق، أي تذليلها، وتمهيدها لتصبح سهلةً

ولذلك قال الراغب الأصفهاني -رحمه الله تعالى- في المفردات:

«العُبُودِيَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبادةُ أبلغُ منها؛ لأنها غاية التّذلّل»

والذل هنا هو الذل الإيجابي، فيكون من الضعيف أمام القوي الحق، ومن الفقير أمام الغني الكامل، ومن الكسير أمام جابر المنكسرين، ومن الخائف أمام من يؤمّن الخائفين

وفي الحِكَم لابن عطاء -رحمه الله-:

تحقق بأوصافك يمدّك بأوصافه، فإذا جلستَ على بساط الذلِّ وقلتَ: يا عزيز..مَن للذليل سواكَ؟! أعزك. وإذا جلست على بساط العجز وقلتَ: يا قدير.. مَن للعاجز سواك؟! قدّرك. وإذا جلستَ على بساط الضعف وقلتَ: يا قوي.. من للضعيف سواك؟! قوّاك. وإذا جلستَ على بساط الفقر والحاجة وقلتَ: يا غني.. مَن للفقير سواك؟! أغناك. وعندها تسعى الإجابة بين يديك؛ فتصير عزيزًا وقادرًا وقويًا وغنيًا بالله.. فقد أمدك بأوصاف الربوبية بعد أن تحققتَ بأوصاف العبودية.

ما أركان نظام العبادة في الإسلام؟

الجواب: جمع نظام العبادة أربعة أركان:

عرّفوا العبادة بأنها: «محبة الحق، وبذل الخير للخلق».

الحبُّ الذي وصفه ابن القيم -رحمه الله- بأنه: «الحياة الّتي من حرمها فهو من جملة الأموات، وهو النُّورُ الّذي من فقدهُ فهو في بحار الظُّلمات، وهو الشِّفَاء الّذي من عدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، وهو اللّذّة الّتي من لم يظفر بها فعيشه كلُّه هُمومٌ وآلامٌ».

وأشار المحققون إلى العبادة بوجه آخر فقالوا هي:

«اسْم جَامع لكل ما يُحِبهُ الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة، وَالظَّاهرة»

فشملت العبادة كل فعلٍ نافعٍ، وعملٍ صالحٍ، وقولٍ طيب، وحركة إيجابية للنفس أو للمجتمع، بشرط أن ينوي به المرء وجه الله.

كيف يمكن التعريف بمفهوم العبادة في الإسلام في المحافل الدولية؟ وما القيمة العالمية الذي يقدمه؟

الجواب: إذا كانت العبادة هي أساس السعادة، ومرتكز السيادة والريادة في بناء النفس والحياة فينبغي أن يُقَدّم هذا المفهوم الرائع باعتباره قيمةً عالميةً يحتاجها العالم كله دون خوفٍ في هذا التقديم ولا رهبةٍ ولا ترددٍ ولا استحياءٍ.

إذا كانت تلك هي أركان نظام العبادة في الإسلام، فما أوصاف العُبّاد؟

الجواب: العُبّاد هم الذين قَطّرت عليهم سحائب الأشجان، ونصبوا رُكَبهم والأبدان، وتَسَرْبَلُوا بالخوف والأحزان، وشربوا بكأس اليقين، ورَاضُوا أنفسهم رياضة المتقين؛ كَحّلُوا أبصارهم بالسّهر، وغَضُّوها عن النّظر، فقاموا ليلهم أَرَقًا، وتبادرت دموعهم فَرَقا، حتى ضَنِيَت منهم الأبدان، وتغَيّرت منهم الألوان، صَحِبُوا القرآن بأبدان ناحِلَةٍ، وشِفَاه ذَابِلةٍ، ودُمُوع وَابِلةٍ، وزَفَرات قاتلةٍ، فحَال بينهم وبين نعيم المُتَنَعّمين، وشغلهم عن مَطَامع الرّاغبين، فَاضَت عَبَراتهم من وَعِيده، وشَابت ذَوَائبهم من تحذيره وتشديده..سمعوا إعلان (سارعوا)..فكَسَلَهم مانعوا، وشهواتهم دافعوا..ورحمةَ ربهم طالعوا.. فسارعوا، وسارعوا وسارعوا.. يبتغون رضا الملك الوهاب

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (الزمر: 18).

ما أعظم فائدة للعبادة تعود على الفرد والبشرية؟

الجواب: إن أعظم فائدةٍ للعبادة تعود للعابد، وللبشرية من حوله:

فالنظام العبادي يؤدي إلى حفظ العابد وخدمته، والقيام على مصالحه، والعبادة ليست تسخيرًا للنفس بل حقيقتها خدمة النفس، ولذا قال علماؤنا: «أتظن أنه -تعالى ذكره- دعاك لعبادته، وإنما دعاك لنعمته ودخول جنته»؛ فالعبادة مفتاح الخيرات، وَعُنوَان السّعادات، ومهبط البركات، ومطلع الدّرجات، وهي أهم أسس إصلاح المجتمعات، ودليل الصدق في المعاملات، ويَنبُوعُ الكرامات.

ف(الصلاة والزكاة والصيام والحج)	لمصالحنا وأنفسنا وسعادتنا
و(الحجاب)	لأمننا وراحتنا
و(تحريم الربا)	لحريتنا الحقيقية وأمننا الاقتصادي
و(العدل)	لإشاعة المساواة القانونية في محالِّها الصادقة، وإعطاء كل ذي حق حقه
و(القصاص)	للأمن الحياتي
و(تقسيم المواريث)	للعدل الاجتماعي.

والعبادة بذلك:

هي الوظيفة الإنسانية، والبرنامج الحياتي العملي للإدارة الحقيقية الناجحة لحياة الإنسانية، وهي الأساس لبناء الأوضاع المدنية، ولصلاح الأحوال العمرانية.

بصيرة 3

(العبادة) هي طريق البشرية للتحرر الحقيقي وللسيادة والريادة.

كيف تحقق العبادة السيادة للبشرية وتضمن لهم الريادة؟

الجواب: العبادة نظام يحرر الناس الذين يسجدون للبشر، أو للحجر، أو يُعَظِّمون الغنم والبقر، أو يخضعون للشمس والقمر، أو يُبَجِّلُون سَحَرة الإعلام، وطغاة الإجرام، ولذا وصف بهذا اللقب (عبد الله) سادات البشر من المفلحين الذين حققوا أعظم الإنجازات كالمسيح عليه السلام ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: 172)

متى وُصِفَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه عبدٌ لله؟

الجواب: وصف به النبي ﷺ في مقام تحدي المشركين المعاندين

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ (الزمر: 18).

ومقام تشريفه بالإسراء السابق للمعراج

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ (الإسراء: 1).

ومقام إنزال الكتاب الحق الذي ينظم للدنيا حياتها

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (الكهف: 1).

ومقام الدعوة إلى أشرف الحقائق وأعظمها

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (الجن: 19).

أنا بالله عزيزٌ، عزتي في سجداتي ... أنا لله وليٌّ، لا لعُزّى أو مناةِ
أنا عبد الله، لا عبد الهوى والشهواتِ ... فنيت نفسي عن نفسي فَسُدتُ الكائناتِ
أنا أغنى الخلق بالحق بأغلى الثرواتِ ... لا يداني كل ملك الأرض إحدى ركعاتي

إذا كانت عبادة الله هي النظام الذي به نسعد في الحياتين، فكيف يمكننا أن نعبد الله حق العبادة، ونحن مخلوقون ضعفاء؟

الجواب يتجلى في المقصد السادس الذي تبصرنا به قوله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5):

المقصد السادس

الاستعانة باللّه نظامٌ تعبدي يُظهِر الافتقار لقوة القادر القهار ليعين على بناء الحياة وتحقيق النجاح وفق أنظمة العبادة، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

(الفاتحة: 5)

المقصد السادس

الاستعانة باللّه نظامٌ تعبدي يُظهِر الافتقار لقوة القادر القهار ليعين على بناء الحياة وتحقيق النجاح وفق أنظمة العبادة، ويبصرنا بذلك قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تحصر طلبَ العون في الله تعظيمًا وحماية من العجب والكبرياء.

بصيرة 2

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تبني الاستقلال الذاتي، والتحرر من التبعية للآخرين.

بصيرة 3

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تصور التحقق، والتعلق والتخلق، ولذة المناجاة، وجمال القرب.

بصيرة 4

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تعني أن «من علامات النجاح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات»

بصيرة 1

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تحصر طلبَ العون في الله تعظيمًا وحماية من العجب والكبرياء.

ما سرُّ تقديم المفعول به ﴿إياك﴾ على الفعلين ﴿نَعْبُدُ- نَسْتَعِينُ﴾؟ وما الحكمة في تكراره مع ﴿نَسْتَعِينُ﴾؟

الجواب: قدّم المفعول ﴿إياك﴾ على الفعل ﴿نَسْتَعِينُ﴾، للحصر والاختصاص، وذلك يعني نفي الاستعانة عن كل ما سوى الله تعالى؛ إذ معنى الجملتين: نعبُدك وحدك، ولا نعبد أحدًا غيرك، ونستعين بك وحدك، ولا نستعين بأحدٍ سواك،

وهنا تعلم عَظَمة الوصية النبوية لابن عباس رضي الله عنهما حينما قال له:

((يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ:
احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))

" الترمذي (2516) وقال: حسن صحيح"

بصيرة 1

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تحصر طلبَ العون في الله تعظيمًا وحماية من العجب والكبرياء.

ما المرض الذي يعالجه قوله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)؟

الجواب: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) تعالج مرضًا كامنًا، وغريزةً مختبئةً فيك أيها العابد، هي: غريزة العجب؛ إذ الغرور والعجب جزءٌ من النفسية الإنسانية كما قال ابن حزم رحمه الله: « قد يكون العجب كمينًا في المرء، حتى إذا حصل على أدنى جاهٍ ومالٍ ظهر عليه، وعجز عقله عن قمعه..»، ولا حل يجتث العجب إلا بالشعور بالافتقار إلى الله، والذل بين يديه، وأن الإنسان ليس بشيء لولا توفيق الله ورحمته

قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

(ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا)

«أخرجه الترمذي (1105) وقال:حديث حسن»

وكان ابن تيمية -رحمه الله- يقول:

أنا الفقير إلى ربّ السماوات ... أنا المُسَيْكِينُ في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن جاءنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعةٍ ... ولا عن النفس في دفع المضراتِ
وليس لي دونه مولىً يدبّرني ... ولا شفيعٌ إلى رب البرياتِ

بَصِيرَة 2

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تبني الاستقلال الذاتي، والتحرر من التبعية للآخرين.

فماذا يعني أن تقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)؟

الجواب: إن معنى هذه الجملة أن يفْزَع الْقَلْبُ -على المستويات الفردية والجماعية- إلى التعلق المتلهف بالربِّ -جل في علاه- وذلك يعني التحرر عن أن تذل ذاتك للنفس الأمّارة بالسوء، كما قال عبد الصمد بن المعذل في امرأةٍ تطلب منه الاستعانة بالمخلوقين:

تُكلفني إذلال نفسي لعزها ... وهان عليها أن أُهان لتُكرما
تقول: سل المعروف يحيى بن أكثمٍ ... فقلت: سليه ربّ يحيى بنِ أكثما

عبد الصمّد بن المُعَذّل

ما فائدة تقدم الضمير ﴿إياك﴾ على ﴿نستعين﴾؟

الجواب: تقدم الضمير ﴿إياك﴾ الذي يرجع إلى الله تعالى على فعل العباد (نستعين) ليس للحصر فقط بل لتعظيم (الله) -جل في علاه- عند الكلام عنه أو الخطاب ببعض ما يتعلق به.

لماذا حذف حرف الجر (على) الذي تتعدى به ﴿نستعين﴾؟

الجواب: كلمة (نستعين) تتعدى بـ(...على...)، وحذفها ليبين الشعور بعموم الاِسْتِعَانَةِ بالله على كل شيء، فنحن نستعين به على كل شيءٍ ابتداءً من التَصَوُّرات والغايات، ووصولًا إلى الأعمال والتنفيذ في الكليات والجزئيات، والعموم والتفاصيل.. والنيات والأفعال والأقاويل، وقد قال علماء التربية القلبية: إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والحاجة لديك ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ (التوبة: 60)

فتجتمع لك استعانةٌ قلبيةٌ بطلب الإعانة والمساعدة منه

واستعانةٌ تشريعيةٌ بالرجوع إلى شرعه في حياتنا

واستعانةٌ شعورية بأن تكون الاستعانة باللسان موافقةً لعواطف الإنسان ونبضات الجَنان.

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)

تعني التبرؤ من الاستعانة في المجالات الاقتصادية من الشركات الاستثمارية عابرة القارات التي تمتص دماء الشعوب وتشفط الثروات..

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)

تعني التبرؤ في المجالات الاجتماعية من الحلول البشرية، والعبودية لأصحاب الجاه

مع اللهِ في القلب لمّا انكسَرْ ... مع الله في الدمع لما انهمَرْ
مع الله في التّوب رغم الهوى ... مع الله في الذّنْب لما استترْ
مع الله في الروحِ فوق السما ... مع الله في الجسم لما عثَرْ
يُنادي يناجي: أيا خالقي ... عثرتُ.. زللتُ.. فأين المفرّ؟!

عمر الأميري

قد يسأل بعضهم: كيف تبني ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) الاستقلال الذاتي والجماعي في الأمة مع أن الله أمرنا بالتّعَاوُنِ مع المخلوقين في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: 2)؟

الجواب: الاسْتِعَانَةُ تبني الاستقلال الذاتي في مجالين:

المجال الأول: لا قبل للبشر بالإعانة عليه

ولا قبل لِلمُستَعِين بتحصيله بمفرده، وبالاستعانة بالله يمكن التحرر الحقيقي من الشهوات، ومن الرق الجديد المفروض على الدول والشعوب، فالاستعانة بداية التحول والتغير الإيجابي المتعلق بالقوة العظيمة التي تمد بعون الله تعالى وتوفيقه.

المجال الثاني: يستطيعه البشر، ولكنهم قد يتعثرون في إقامته

أو يتراجعون في تكميله، أو يتزلزلون في تحصيله، فأمر الله بالتعاون البشري فيه ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: 2)، ولكن مع حصر التوجه إلى الله في إقامته واستمراره

وهنا تعلم لماذا أُعِيدَ لَفْظُ (إِيَّاكَ) فِي الاسْتِعَانَةِ دُونَ أَنْ يَعْطِفَ فِعْلَ (نَسْتَعِينُ) عَلَى (نَعْبُدُ)؟

الجواب: لأنّ بين الحصرين فرقًا:

- **فالحصر في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾:** "حقيقيٌ"
- **والحصر في ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:** "ادّعائيٌ"

فإنّ المسلم قد يستعين بغير اللّه -تعالى ذكره-، والاستعانة بالصبر والصلاة تعني الاستعانة بالأدوات التي تحقق الاستعانة بالله.

ما علاقة الاستعانة بالحولقة؟

الجواب: الاستعانة بابها الحولقة: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلا تحول من حالة الكسل إلى العمل، ومن حالة الخمول إلى الحركة وترك الخلل، ومن حالة البؤس إلى السعادة، ومن حالة السلبية إلى الإيجابية، ومن حالة الجمود إلى التغيير المثمر إلا بقوة، وهذه القوة لا يمكن أن يجدها المرء إلا عند الله تعالى يمده بإيقاد شعلتها.

بصيرة 3

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تصور التحقق، والتعلق والتخلق، ولذة المناجاة، وجمال القرب.

لماذا بدأ الله الفاتحة بأسلوب الكلام عن الغائب في الأربع الآيات الأُوَل، ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بالخطاب؟

الجواب: بدأ الله السورة بأسلوب الكلام عن الغائب فقال:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: 5)

فتحول إلى الخطاب على أسلوب (الالتفات العربي)

لتبني (الفاتحةُ) بذلك العلاقة بين العبد وربه على لذة المناجاة، وأُنْسِ القرب، فبعد أن أثنيتَ عليه -جلّ مجده- بصيغة الغائب ثناءَ المشفق القلق الوجل المستحي، مستشعرًا عظمته وصغرك، وغناه وفقرك اقتربت منه بالثناء، وشعرت بلذة مناجاته، فبلغت بك الفكرة منتهاها، وأزهرت ورودها في رباها، فخاطبت رَبّك بالإقبال، فقلت: (إياك).

بصيرة 4

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تعني أن «من علامات النجاح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات»

ما العلاقة بين العبادة والاستعانة؟ وما فائدة الترتيب المحكم في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

الجواب: الترتيب المحكم لهاتين الجملتين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) والعطف بينهما بحرف المشاركة (الواو) يبين لك العلاقة بين العبادة والاستعانة:

فالعبادة أساس الاستعانة وهدفها؛

فكونها أساس الاستعانة تكون سابقة، وكونها هدفاً تكون لاحقة، والاستعانة ثمرة العبادة ووسيلتها؛ وكونها ثمرةً تكون لاحقة، وكونها وسيلة تكون سابقة، فقد اشترك كلٌ منهما في أن يكون سابقا لاحقًا، إلا أنه قدم العبادة على لسان العبد ليبين هذا العبد المخبت أن هدفه حقٌ وصدقٌ خالص، فحُقّ له عندما يطلب العون أن يعان، ولا بد للعابد من الاستعانة الكلية، ولا بد للمستعين من تقديم العبادة الجزئية.

ولذا قال النبي ﷺ:

((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله))

"أحمد (2763) وصححه الأرناؤوط والألباني"

وجاء في المزامير (54: 23):

«أَلْقِ على الرب هَمّك وهو يعولك»، وقال (126: 1): «وإن لم يبن الرب فباطلًا يتعب البناؤون»

وقرر ذلك أرباب المراقبة فقالوا:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وقالوا:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... أَتَتهُ الرَّزَايا من طريق الفوائدِ

أما عند المسارعة إلى اقتباس العون من معينه العذب فقالوا:

إذا صحّ عونُ الخالقِ المرْءَ لم يجدْ ... عسيرًا من الآمالِ إلّا مُيسّرَا

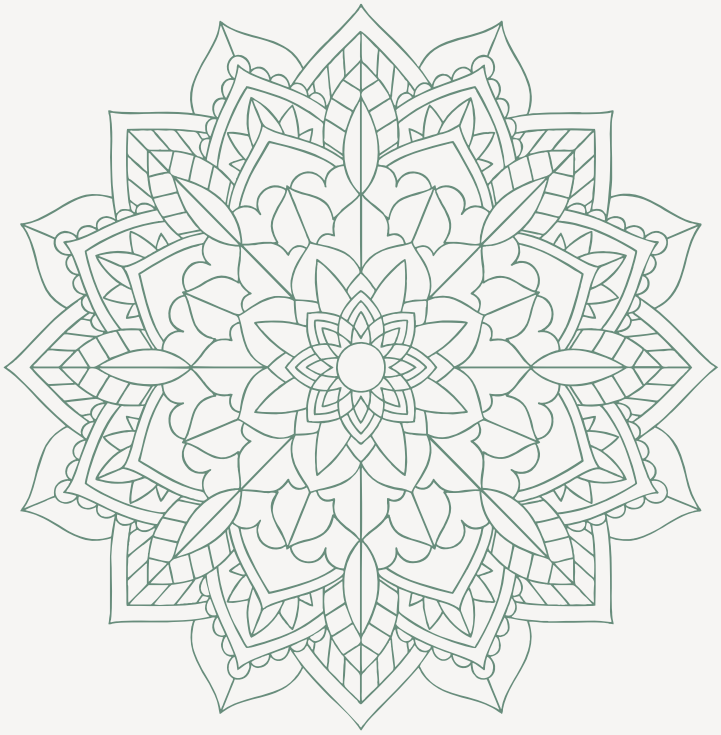

إذا كانت عبادة الله هي النظام الذي به نسعد في الحياتين؟ فما الطّريق الصّحيح لإقامة نظام العبادة في الإسلام؟

الجواب يتجلى في المقصد السابع الذي تبصرنا به قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: 6):

المقصد السابع

(الصراط المستقيم): هو الطريق الوحيد لاتخاذ القرارات الصائبة في التعامل مع الحياة وإقامة النظام العبادي، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

(الفاتحة: 6)

المقصد السابع

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هي الحصن العاصم للعبادة من الانحراف السقيم.

بصيرة 2
﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ علامةٌ على أن تحقيق المطالب يتم بتقديم ذكر أعظم المناقب.

بصيرة 3
﴿ ٱهۡدِنَا ﴾الاهتداء بداية الحياة الحقيقية للخروج من الأزمات والحَيرة والظلماء.

بصيرة 4
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ مثال الحماية المصطلحية الإسلامية النقية من المخاطر الثقافية.

بصيرة 5
الرحمة تقتضي هداية العالم إلى الصراط وحراستهم من الانحراف أو الانجراف

بصيرة 6
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ يُقَدِّمُ الحلول للقضايا العالمية المثخنة بالظلم والعوج.

بصيرة 7
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ يعني أن عودة أمة الإسلام إلى الصدارة العالمية يتم عبر القرآن، وهذا يقتضي محو أمية تلاوة القرآن، ووجوب نشر مؤسسات التعلم القرآني

بصيرة 8
﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ يربط بين عالمي الغيب والشهادة، ويصل بين مرحلتي الدنيا والآخرة.

بَصِيرَة 1

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هي الحصن العاصم للعبادة من الانحراف السقيم.

يبصرنا بذلك المناسبة والاتصال بين هذه الآية وما قبلها؛ فَبَيَّنَ قول الله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ للإنسان المقام الذي يؤدي به وظيفته الحياتية، وهي وظيفة العبادة لتحقيق السيادة والسعادة، وبَيَّنَ له قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ مقام الوسيلة لتحقيق تلك الوظيفة النبيلة، وبقي له أن تكون عبادته صحيحة؛ إذ إنك ترى أن لكل الأمم نظامًا عباديًا.. فأيهم صاحب العبادة الصحيحة؟

تجيبك (الفاتحة) بأن يكون ذلك بسلوك السبيل السوي المستقيم غير المنحرف ولا المائل ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (طه: 135)، فالصراط المستقيم يحافظ على الإسلام من التغيير والابتداع مما تورط فيه أتباع أنبياء سابقين؛ ولذا يحتاج القارئ إلى هداية الرحمن في كل جزئيةٍ من جزئيات الحياة حتى لا يبتدع أو يضل:

إني إليك مدى الأنفاس محتاجُ لو كان في مفرقي الإكليلُ والتاجُ

ما صفات هذا الصراط الذي أُمرنا أن نتبعه وأن نسأل الله أن يهدينا إياه؟

الجواب: يبين الله للبشرية الوجه الأمثل الذي يكشف العبادة الحقيقية، وهو الوجه المُتَّصِفُ بثلاث صفاتٍ:

الصفة الأولى:

أن يكون الأداء باستقامةٍ دون اعوجاج بأن يكون على الطريقة ذاتها التي سار عليها المُنعَم عليهم من قبل ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (الفاتحة: 6، 7).

الصفة الثانية:

ألا يكون على طريق المغضوب عليهم بأن يصنع ما يُسَبِّبُ غضبَ الله بأن يعصيه أو يعاند أمره، فوصف الله المُنْعَمَ عليهم بأنهم لا يسيرون في طريق ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ (الفاتحة: 7)، فالذين يسيرون في الصراط المستقيم لا ينبغي أن يسيروا في طريق الغضب الإلهي

الصفة الثالثة:

ألا يكون على طريق الضالين التائهين بأن يضل أو يصنع ما يُسَبِّبُ له الضلالةِ التي تَجُرُّ صاحبَها إلى السقوط والهلاك والشقاء، أو الرعونة والاعتداء فوصف الله المُنْعَمَ عليهم بأنهم لا يسيرون في طريق الضلالة فقال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فالذين يسيرون في الصراط المستقيم لا ينبغي أن يتصفوا بصفات الضالين

بصيرة 2

﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ علامةٌ على أن تحقيق المطالب يتم بتقديم ذكر أعظم المناقب.

ما الهدف العظيم الذي يطلب المنيبون من الله تحقيقه؟

الجواب: يريد العباد المنيبون من الله تحقيق أحد الأهداف الحياتية العظيمة، وهو: الهداية لاتخاذ القرارات الصائبة في جميع أمور الحياة، ولكنهم لم يسألوه ذلك إلا بَعْدَ أَنْ حَمِدُوه وَوَصَفُوهُ بأجمل الصفات وأعظم الثناء في الآيات الأربع الأُول، ثم أتبعوا ذلك بتقديم خالص الولاء عندما قالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)

وقد حثّ النبي ﷺ على الثناء ليكون وسيلةً لإجابة الدعاء، فروى فضالة بن عبيد -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- سمع رجلًا يدعو في صلاته، فلم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((عَجِل هذا)) ثم دعاه فقال له -ولغيره-:

((إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليُصَلِّ على النبي ﷺ، ثم ليدع بعد بما يشاء))

«الترمذي (3477)، قال: حديث حسن صحيح».

بَصِيرة 3

﴿ ٱهۡدِنَا﴾ الاهتداء بداية الحياة الحقيقية للخروج من الأزمات والحَيرة والظلماء

ما أنواع الهداية في القرآن الكريم؟

الجواب: الهداية في القرآن الكريم تأتي على أربعة معانٍ:

1 المعنى الأول: هداية الفطرة الجِبِلّية الغريزية

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: 50)، فخلق النحلة، والنملة، والطفل الرضيع، ووضع في نفوسهم التصرف المناسب لكلٍ منهم.

2 المعنى الثاني: هداية الدلالة البيانية الإرشادية

لتكوين الخبرة المعرفية البسيطة والمتراكمة: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ (البلد: 10) وهما الموضعان المرتفعان اللذان من خلالهما يُعرف الخير والشر، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الشورى: 52)، أي: إنك أيها الرسول لتبين حقًا البيانَ الوافي، وتدل الناس إلى الصراط المستقيم في أمور الحياة، وهو الصراط غير المعوج الذي ينقذ من التجارب المؤلمة، والمتاهات المضلة.

3 المعنى الثالث

هداية الإلهام والتوفيق:

فبعد معرفة طريقي الخير والشر تأتي خطوة الاختيار واتخاذ أخطر قرار: هل نرتقي نَجْدَ الخير أم نصعد نَجْدَ الشر، وهنا تكون هداية التوفيق، وهي بيد الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: 56)، والذي يستحق الإلهام والتوفيق هو من ينأى بنفسه عن جواذب الشر، ويردع أهواء النفس الأمارة بالسوء، ومن أجابها إلى السوء أضله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝٢٦ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 26، 27).

ما مقتضيات هداية الإلهام والتوفيق؟

الجواب: هداية الإلهام والتوفيق لها مقتضيان:

المقتضى الأول

الثبات على الهدى ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: 8).

المقتضى الثاني

الازدياد من أعمال الهدى لتحقيق التقوى طلبًا لأعلى مراتب الرشاد ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (محمد: 17).

3 المعنى الرابع

الهداية بمعنى الدلالة إلى ثواب الاهتداء، أو عقاب الضلال والإغواء -جزاءً وفاقًا-:

ففي حق المؤمنين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس: 9)، ويبين ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل الجنة: ((أُذِنَ لهم في دخول الْجَنّة، فوالّذي نفس مُحَمّدٍ بيده لأَحَدُهُم أهدى بمنزله في الْجَنّة منه بمنزله كان في الدُّنيا)) «البخاري (6535)»

وأما هداية الظالمين إلى الجحيم فقال الله عنها:

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (الصافات: 22، 23)، وكأنهم إذ لم يهتدوا في الدنيا أُجْبِروا على الاهتداء في الآخرة، ولكن إلى مآل المجرمين، وجزاء المكذبين.

فإلى أيٍّ من هذه المعاني الأربعة يرجع معنى الهداية في هذه الآية؟

الجواب: المقصود بقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ من هذه المعاني الأربعة الثاني والثالث.

ما أهم وسائل الحصول على الهداية؟

الجواب: أهم وسائل الحصول على الهداية وسيلتان:

الوسيلة الأولى — العلم الذي يقتضيه المعنى الثاني للهداية

وذلك بطَلَب الْمَعْرِفَة الصادقة ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ (الرعد: 19).

الوسيلة الثانية — العمل الذي يقتضيه المعنى الثالث للهداية

وذلك بالمجاهدة بِتَصْفِيَةِ الْبَاطِنِ وَتعويد الظاهر على اتباع أحسن ما يعلم من المعرفة الصادقة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 17، 18).

مَن نَفسه شريفة أبيّه ... يربأ عَن أُمُوره الدنيه
وَلم يزل يجنح للمعالي ... يسهر فِي طِلابها اللّيَالِي
وَمن يكون عَارِفًا بربّه ... تَصَوّر ابتعاده من قربه
فخاف وارتجى وَكَانَ صاغيا ... لما يكون آمرًا أَو ناهيا
صَارَ محبوبًا لخالق الْبشر ... لَهُ بِهِ سمع وبطش وبصر
وَكَانَ لله وليًا إِن طلب ... أعطَاهُ، ثمّ زَاده مِمَّا أحب

ابن رسلان

بصيرة 4

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ مثال الحماية المصطلحية الإسلامية النقية من المخاطر الثقافية.

ما صفات الصراط المستقيم المستنبطة من الدلالة اللغوية لكلمة (صراط)؟

الجواب: وصف الله الإسلام بأنه (الصراط المستقيم)، والصراط مشتق من سَرِطَ الشيءَ، واسْتَرَطَه ابْتَلَعَه، وانْسَرَطَ الشيءُ في حلقِه سارَ فيه سيرًا سهلًا، والسِّراطُ السَّبِيلُ الواضحُ، وتبدل السين صادًا، ونستنبط للصراط خمس صفاتٍ:

الصفة الأولى

أن يكون طريقًا أو جسرًا يوصلان الإنسان إلى وجهته.

الصفة الثانية

أن يكون مستقيمًا لا معوجًا، والاستقامة إما أن تكون وصفًا تأسيسيًا، وإما أن تكون جزءًا من ماهية الصراط ذكرها الله لتكون وصفًا إيضاحيًا زيادةً في بيانه ومدحه بحقائقه ليعتز الذين يسلكون الصراط باستقامته واستقامتهم تبعًا له.

الصفة الثالثة

أن يكون واسعًا رحْبًا، فسلوك غيره يسبب الضيق والكدر.

الصفة الرابعة

أن يكون موصلًا إلى المقصود ينتهي من يسير فيه إلى هدفه المنشود.

الصفة الخامسة

أن يكون سهلًا ميسرًا، فليس فيه تعرجات تُعَسِّر المسير.

فيكون معنى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: 6): بين لنا ووفقنا وألهمنا لسلوك الطريق المستقيم الواسع السهل الموصل إلى تحقيق الأهداف السوية، والقرارات الصائبة التي تضمن لنا الفلاح والتفوق والفوز والنجاح في كل احتياجاتنا ومطالبنا الدنيوية والأخروية، واستعمال هذا المصطلح في وصف المنهج الإسلامي يعصم من الزلل والخلل والعبث بالمفاهيم، فهذه أولويةٌ قرآنيةٌ تلزمنا باستخدام المصطلح الإسلامي بدلًا من محاولة البحث عن مصطلحات أخرى تحمل المخاطر الثقافية التي قد تدمر المفهوم الإسلامي للمصطلح.

بصيرة 5

الرحمة تقتضي هداية العالم إلى الصراط وحراستهم من الانحراف أو الانجراف

ما الحالات التي يدل عليها تعدي الفعل ﴿اهدنا﴾؟ وما المعاني المترتبة على ذلك؟

الجواب: (هدى) يأتي على ثلاث حالات:

1. **الحالة الأولى** ● يتعدى إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي، وَهُوَ الْمُهْدَى إِلَيْهِ بـ(إلى)

﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 142)، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (النازعات: 19)، و(إلى) لانتهاء الغاية المكانية والزمانية، فهو يصل إلى بوابة الطريق، ويحتاج بعد ذلك إلى هدايةٍ تاليةٍ بعد وصوله إليه ليدخل ويثبت عليه.

2. **الحالة الثانية** ● يتعدى إلى المفعول الثاني، وهو المُهدَى إليه بِاللَّامِ

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة: 213)، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ (الأعراف: 43)

3. **الحالة الثالثة** ● يتعدى بنفسه إِلَى المفعولين

كما في هذه الآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فالمفعول الأول: (نا)، والثاني: (الصراط)

ففي الحالة الأولى: (المتعدي بإلى) يهدي إلى الحق ويوصل إليه لكنه لا يجذب له بالضرورة

والحالة الثانية: تعني وجود أمر زائد على الإيصال يتعلق بالترغيب في الوصول، والجذب له

وفي الحالة الثالثة: يدل عليه ويرغب فيه ويدخل فيه، ولذا كان من معاني ﴿اهدنا﴾ هنا الإلهام والتوفيق

فالْمُتَعَدِّي بنفسه يُسْتَعْمَلُ فِي الْهِدَايَةِ لِمَنْ لم يكن في الطريق ليحدث له الأمور الأربعة:

معرفة الطريق	الوصول إليه	دخوله، الثبات عليه

والتوفيق لسلوك أفضل خصاله، وأجمل أجزاء كماله.

جمال التصوير النبوي لـ(الصراط المستقيم) مقابل إغراءات الإجرام الشهواني والفكري:

صوّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الدرجات الأربع المتعلقة بالصراط المستقيم تصويرًا محسوسًا رائعًا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

((ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سُوران، فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعلى الأبواب ستورٌ مُرْخاةٌ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا، ولا تَتَعَرَّجُوا- أو قال: ولا تَعْوَجُوا-، وداعٍ يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبوابُ المفتحةُ محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتابُ الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظُ الله في قلب كل مسلمٍ))

«أحمد في المسند (17634) وصححه محققو المسند».

بَصِيرَة 6

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ يُقَدِّمُ الحلول للقضايا العالمية المثخنة بالظلم والعوج

صراطُ الإسلام هو طريق الأمان من السقوط في البؤس والشقاء، وله حدودٌ معلومة يمنع تجاوزها؛ لئلا تخطف الإنسان الساقط الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق

كيف وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصراط؟

الجواب: يُصَوِّرُ النبي ﷺ العدل الذاتي الذي يوجد في الصراط المستقيم تصويرًا رائعًا محذرًا من الاعتداءات الخارجية التي تحاول جذب السائرين عليه إلى الطرق الإجرامية أو المناهج الفسقية المدمرة للبشرية، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال:

((هذا سبيل الله مستقيمًا)). قال: ثم خط عن يمينه وشماله (خطوطًا)، ثم قال: ((هذه السبل ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه))

«أحمد في المسند (4437) قال محققو المسند: إسناده حسن»

ثم قرأ

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (الأنعام: 153).

وبيّن ابنُ القيم -رحمه الله- أن هذا العدل الذي يكتنزه صراط الله المستقيم دليلٌ على توحيد الله وعظمته يساوي في هذه الدلالة دليل الخلق فقال: «وضع في العقل من الإقرار بحسن شرعه ودينه الذي هو ظله في أرضه، وعدله بين عباده، ونوره في العالم، ما لو اجتمعت عقول العالمين كلهم فكانوا على عقل أعقل رجلٍ واحدٍ منهم لما أمكنهم أن يقترحوا شيئًا أحسن منه، ولا أعدل، ولا أصلح ولا أنفع للخليقة في معاشها ومعادها، فهو أعظم آياته، وأوضح بيناته، وأظهر حججه على أنه الله الذي لا إله إلا هو، وأنه المتصف بكل كمال، المنزه عن كل عيبٍ ومثال».

(مفتاح دار السعادة)

بصيرة 7

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ يعني أن عودة أمة الإسلام إلى الصدارة العالمية يتم عبر القرآن، وهذا يقتضي محو أمية تلاوة القرآن، ووجوب نشر مؤسسات التعلم القرآني

اسمع إلى ابن مسعود رضي الله عنه يصف ذلك على هيئةٍ مُصَوّرَةٍ كأنك تشاهدها فيقول:

(إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ يَقُولُونَ: يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا الطَّرِيقُ)

أي يحاول شياطين الإنس والجن أن يوهموك أن الطريق الذي يزينونه هو الصراط المستقيم.. ماذا نصنع لهم؟ كيف ننجو من قدرتهم الفذة على تقليب الحقائق وخاصة في زمن السنوات الخداعات.. هنا يكمل ابن مسعود رضي الله عنه فيقول:

(فاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ كِتَابُ اللَّهِ)

كأن ابن مسعود رضي الله عنه شعر بالاستبصار القرآني أن شياطين الإنس والجن سيحاولون إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم، وهذا يقتضي محو أمية التلاوة عن الأمة المسلمة.

؟ كيف تعود أمة الإسلام إلى الصدارة العالمية؟

الجواب: منهاج عودة أمة الإسلام إلى الصدارة العالمية قائمٌ على دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فالرجوع إلى القرآن العظيم هو السبيل الوحيد الذي يحقق الانتصار الفردي والجماعي ضمن سنن المداولة والمدافعة.

بصيرة 8

﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ يربط بين عالمي الغيب والشهادة، ويصل بين مرحلتي الدنيا والآخرة

كيف يربط الصراط بين عالمي الغيب والشهادة؟

الجواب: يربط النبي ﷺ بين الصراطين فيقول:

((فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ))

«البخاري (806)، مسلم (195)»

ففز -أعزك الله- في مسابقة عبور صراط الآخرة بالفوز بهدايات الصراط الدنيوي الفاخرة، فجسر جهنم: ((يُجْعَلُ بين ظَهْرَي جهنّم...مدحضةٌ مَزلّةٌ، عليه خطاطيفُ وكلاليبُ، وحسكةٌ مفلطحةٌ لها شوكةٌ عُقَيْفَاءُ تكون بِنجدٍ يُقال لها: السّعدانُ))

فهو جسر مرعب، ويسير المؤمنون عليه بتفاوتٍ -حسب أعمالهم الصالحة- ((كالطّرف، وكالبرق، وكالرّيح، وكأجاويدِ الخيل والرّكاب))، والنتيجة كما يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تخلو من ثلاثة أحوالٍ:

- فناجٍ مُسلّمٌ
- وناجٍ مَخدوشٌ
- ومَكدوسٌ في نار جهنّم

حتّى يَمُرَّ آخِرُهُم يُسحَبُ سَحبًا..تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ

ما أهمية الآية السابعة في سورة الفاتحة؟ وما المقاصد التي تنبثق عنها؟

الجواب: الآية السابعة من سورة الفاتحة: المقاصد العاصمة للصراط المستقيم

الآية السابعة المباركة

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة: 7)

آيةٌ فريدةٌ في موضعها وألفاظها؛ فهي الآية العاصمة لسير العابدين على صراط الاهتداء المستقيم؛ وستجد فيها مقصدين عاصمين:

مقصدٌ

يتعلق بالإثبات والتحديد لماهية الصراط المستقيم، وهو المقصد الثامن يبين الله فيه أن (الصراط المستقيم) الحقيقي هو الذي سار عليه المُنعَم عليهم من السابقين ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

ومقصد

يتعلق بالنفي للطرق الزائغة المجرمة التي يحاول دعاتها خلطها بالصراط المستقيم، وهو المقصد التاسع حيث يبين الله فيه ضرورة حراسة الصراط المستقيم من الخطرين الاستراتيجيين الموجودين على جانبي الصراط: خطر الوقوع في الغضب الإلهي، وخطر الضلالة المهلكة

ما الأهداف التي يسعى إليها قادة المغضوب عليهم والضالين؟

يحاول قادة المغضوب عليهم والضالين السيطرة على وسائل تكوين الأفكار، واللعب بمحركات التأثير على الرأي العام، وصنع القيادات المجتمعية التي تُسْهِمُ في صناعة الحياة التي تجلب الغضب الإلهي بالإفساد في الأرض وسفك الدماء، بدلًا من السلام الكوني الذي يحدث بالاستسلام للمنهاج العبادي التوحيدي.

إذا كان الصراط المستقيم هو نظام العبادة الوحيد في الإسلام، فما صفات هذا الصراط؟ ومن هم الذين ساروا عليه؟

الجواب يتجلى في المقصد الثامن الذي يبصرنا به قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ (الفاتحة: 7):

المقصد الثامن

(الصراط المستقيم) الحقيقي هو الذي سار عليه المُنْعَم عليهم من السابقين، فهذا المقصد يبين طبيعة الصراط المستقيم، ويصل السابقين من المهاجرين والأنصار باللاحقين في عدم تغيير حقيقة الصراط، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾

(الفاتحة: 7)

المقصد الثامن

(الصراط المستقيم) الحقيقي هو الذي سار عليه المُنْعَم عليهم من السابقين، فهذا المقصد يبين طبيعة الصراط المستقيم، ويصل السابقين من المهاجرين والأنصار باللاحقين في عدم تغيير حقيقة الصراط، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ (الفاتحة: 7)

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ تحديدٌ لماهية الإسلام الذي يحمي من التحريف والضياع والتزوير والابتداع.

بصيرة 2

قيادات المُنعَم عليهم على الصراط المستقيم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

بصيرة 3

﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ (الله) مصدر الإنعام الكلي.

بصيرة 1

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ تحديدٌ لماهية الإسلام الذي يحمي من التحريف والضياع والتزوير والابتداع.

ما معنى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾؟

الجواب: معنى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ (الفاتحة: 7):

أن الإسلام الذي يريده الله يتحقق بالسير على الصراط المستقيم وفق المنهج الذي سار عليه المُنعَم عليهم من قبل دون اختراعٍ ديني أو تغييرٍ أو تزويرٍ في المصادر الأصلية للدين (الكتاب والسنة)، أو ابتداعٍ.

من المراد بالمنعم عليهم؟

الجواب: المُنعَم عليهم:

هم الذين سَجّلوا أقوى الإنجازات البشرية باجتيازهم لاختبار الحياة الدنيا بالإيمان والعمل الصالح، وحصلوا على وسام الفلاح من الله -تعالى ذكره- وهم الذين قال الله عنهم:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: 69).

ما فائدة تكرار ذكر الصراط هنا، بعد ذكره في الآية السادسة؟

الجواب:

ذكر الله لفظةَ الصراط مرةً أخرى في الآية السابعة بعد الآية السادسة فقال:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6) ثم قال ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ (الفاتحة: 7)

1. لبيان أن معرفة الرجال تكون بمعرفة الحق، ولا تكون معرفة الحق بالرجال
2. وللجمع بين الإطار النظري العلمي بسؤال الاهتداء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والإطار العملي التربوي ببيان الحقيقة العملية للاهتداء، فهو الاهتداء بصراط السابقين المُنعَم عليهم من الرفعاء في جميع مجالات الحياة دون اختراعٍ فيها أو ابتداعٍ، وتلك وصية النبي ﷺ قال فيها:

((أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فان كل محدثةٍ بدعة، وإن كل بدعةٍ ضلالة))

«الترمذي (2676) قال: حديث حسن صحيح»

هنا تعلم لماذا أدرك فريدريك دني Denny أن القرآن يشكل عماد المحافظة على الإسلام ببناء الصراط المستقيم، فقال:

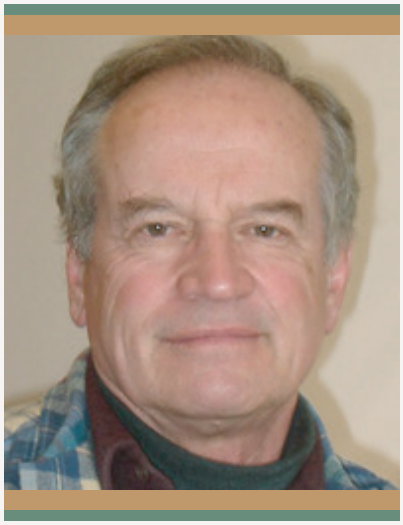

«إن هذا الشعور للقوة الضمنية للقرآن كانت أحد الأسباب الرئيسة في انتشار الإسلام، وفي تمسك المسلمين بالصراط المستقيم أيضًا، طالما أن القرآن نفسه هو الذي يعطي لهذا الدين خصائصه»

بصيرة 2

قيادات المُنعَم عليهم على الصراط المستقيم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

يحدد الله لنا القيادات التي نقتفي أثرها، ونهتدي بنورها، بأنهم الأنبياء، ولكن من ذا يتلوهم في المنزلة القيادية الهادية لهذه الأمة؟

الجواب:

إنهم الصحابة رضي الله عنهم الذين يُبصروننا بالمنهج النبوي الذي نسير فيه دون انحرافٍ، أو جفاءٍ، أو غلوٍّ واعتداءٍ

إلى كم فئة ينقسم الصحابة رضي الله عنهم؟

الجواب: الصحابة رضي الله عنهم ثلاثة فئات:

1 الفئة الأولى

آل البيت من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد نَقَلْنَ لنا سيرةَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنَنَه في التعامل داخل البيت، وفي الجو الأسري الزوجي.

2 الفئة الثانية

آل البيت من قرابته وأصهاره صلى الله عليه وآله وسلم، فقد نقلوا لنا سيرته صلى الله عليه وآله وسلم وسننه في التعامل مع أبنائه وبناته وذوي أرحامه.

3 الفئة الثالثة

بقية الصحابة، الذين نقلوا لنا سيرته ﷺ وسننه في التعامل مع العالَم خارج بيته ﷺ في النواحي السياسية والاقتصادية والعلاقات المحلية والدولية، ومن أعظم نماذجهم: أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، يتقدمهم الأربعة الراشدون الذين جمعوا بين القرابة والمصاهرة والصحبة، وقال عن جميعهم ومن تبعهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (التوبة: 100)

ما الشرط الذي يجب تحققه في التابعين للمهاجرين والأنصار حتى يكونوا من قيادات المنعم عليهم؟ وما فائدة هذا الشرط؟

الجواب:

شرط في التابعين للمهاجرين والأنصار أن يتبعوهم (بإحسان)، وهذه الكلمة العظيمة تضم عدة مفاهيم من أهمها:

المفهوم الأول:

الإحسان في ذكرهم، بتعظيمهم وعدم جعل أخطاء صدرت عنهم سببا في الطعن عليهم.

المفهوم الثاني:

الإحسان في اتباعهم، فهم غير معصومين من الخطأ، فيحسن المتبع في اتباع منهجهم، ويعرض عما وقعوا فيه بحكم الطبيعة البشرية، فيا لذة معرفتهم، ويا لَسعادة صحبِهم

سروري من الدهر لقياكمُ ... ودار سلامي مغناكمُ
وأنتم مدى أملي ما حييت ... وما طاب عيشي لولاكمُ
جنابكم الرحب مرعى الكرام ... فلا صوّح الدهر مرعاكمُ
إذا ازدحمت في فؤادي الهموم ... أعلل قلبي بذكراكمُ

أبو القاسم الجميل النيسابوري

بصيرة 3

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الله) مصدر الإنعام الكلي.

لماذا أسند الله فعل الإنعام بالهداية إليه فقال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟

الجواب:

أسند الله -تعالى مجده- فعلَ الإنعام بالهداية إليه -جل في علاه- في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ﴾، لأنه هو الذي أنعم على هؤلاء الأقوام الذين اهتدوا بالسير على الصراط المستقيم، فلم يهتدوا بجهدهم، ولا بأفعالهم

ما الأنواع الكبرى للنعم؟

الجواب: الأنواع الكبرى للنعم -من حيث جهة الوصول- ثلاثة:

أحدها:

نعمةٌ تفرّد الله بإيجادها: كالخلق من العدم

وثانيها:

نعمةٌ وصلت من جهة غير اللّه في ظاهر الأمر، وحقيقتُها أنها من الله؛ لأنّه تعالى هو الخالق لتلك النّعمة، والخالق لذلك المُنعم، وهو من ألهم قلب ذلك المُنعم ليعطي ذلك الإنعام ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: 14)، ولذا روى الدينوري أن مُحَمّد بن واسع -رحمه الله- دخل على قُتيبة بن مسلم -رحمه الله- فقال له: «أَتَيتُك في حاجةٍ رَفَعتُها إلى اللّه قبلك، فإن تقضها حمدنا اللّه وشكرناك، وإن لم تقضها حمدنا اللّه وعذرناك».

وثالثها:

نِعَمٌ وصلت من اللّه إلينا بسبب طاعتنا، وهي أيضًا من اللّه تعالى، لأنّه لولا أنّ اللّه سبحانه وتعالى وفقنا للطاعات لما كانت تلك المكافآت

كما قال ابن رواحة رضي الله عنه:

والله لولا اللهُ ما اهتـــــدينا ... ولا تصـــــدّقنا ولا صـــــلّينا
فأنزلن سكـــــــينةً عليـــــنا ... وثَبِّتِ الأقـــــدامَ إن لاَقيـــــنا

وقيـــل:

لك الحـمد مولانا على كل نعـمةٍ ... ومِـن أعظم النـعـماء قـولي: لك الحمدُ
فـلا حـمـد إلا أن تـــــمنّ بنـــــعـمةٍ ... تعاليـتَ أن يقـوى عـلى حمـدك العبدُ

إذا كان الصراط المستقيم هو الصراط الحقيقي الذي سار عليه المُنعَم عليهم، فكيف يُحرس هذا الصراط من الأخطار الاستراتيجية المحدقة به؟ وكيف يُحْمَى من الاختراق الداخلي والخارجي؟

يتجلى الجواب في المقصد التاسع الذي يبصرنا به قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

المقصد التاسع

حراسة الصراط المستقيم من الخطرين الاستراتيجيين على جانبي الصراط: خطر الوقوع في الغضب الإلهي، وخطر الضلالة المهلكة؛ لحماية الصراط عن اليمين والشمال من الاختراق الخارجي، والداخلي، ويبصرنا بذلك قوله تعالى:

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

(الفاتحة: 7)

المقصد التاسع

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1
﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ليست تزكية للمسلمين، بل هي تحذير لهم من أنفسهم قبل غيرهم، فيجب أن يجتنبوا مواقع الغضب والضلالة، فالأوصاف تتحقق بالأعمال والاكتساب، لا بالادعاء والانتساب.

بصيرة 2
﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ تشير إلى الصفات الخطيرة التي تستنزل الغضب الإلهي.

بصيرة 3
﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعني وجوب حماية أصحاب الصراط المستقيم من الوقوع في الخسارة في القرارات المصيرية من خلال معرفة صفات الضالين.

بصيرة 4
تغاير النفي في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يبين اختلافًا واتفاقًا بين الفئتين، مما يكشف لنا طبيعة التحالفات ضد أهل الصراط المستقيم.

بصيرة 5
(الصراط) يبين الحلفاءَ والأعداء الإستراتيجيين للأمة المسلمة في الواقع.

بصيرة 6
تقترن أفعال قيادات المغضوب عليهم والضالين بالوحشية.

بصيرة 7
التناقض بين الأقوال والأعمال ينافي مبدأ الاستقامة في (الصراط المستقيم).

بصيرة 8
آيتا الصراط تمثلان دستورًا كاملًا للمعرفة العليا والعمل الأقوم.

بصيرة 1

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ليست تزكية للمسلمين، بل هي تحذير لهم من أنفسهم قبل غيرهم، فيجب أن يجتنبوا مواقع الغضب والضلالة، فالأوصاف تتحقق بالأعمال والاكتساب، لا بالادعاء والانتساب.

فهذا المقصد يحمي حدود الصراط المستقيم عن اليمين والشمال من الاختراق الخارجي، والداخلي معاً..

كيف تعصم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ من شرور النفس؟
وهل الآية محصورة في اليهود والنصارى فقط؟

الجواب: هذه الجملة المباركة ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

تعصمك من شرور نفسك، وشرور من حواليك، ولو أراد الله أن يكون معنى (ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) محصورًا في اليهود والنصارى لكان الأكثر بياناً أن يقول: غير اليهود ولا النصارى.. لكنه سبحانه أراد ألا يزكي المسلمون أنفسهم، وألا يظنوا أن الانتساب إلى الإسلام كافٍ عن أعمالهم، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

((فإن اليهود مغضوبٌ عليهم، وإن النصارى ضُلَّالٌ)) «الترمذي (2953) قال: هذا حديث حسن غريب»

بيان لأبرز نماذج المغضوب عليهم والضالين وهم أهل الكتاب الذين لا يعملون بما في الكتاب، ومثلهم من ماثلهم من المسلمين؛ لأن التفسير بضرب المثال لا يقتضي الحصر في المقال، فيدخل فيهم ممن ينتسب إلى الإسلام مثلاً:

1 **قوى النفاق المجرمة الخائنة**

التي قال الله عنها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (محمد: 28).

2 **وقاتل المؤمن عمدًا**

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 93).

بصيرة 2

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ تشير إلى الصفات الخطيرة التي تستنزل الغضب الإلهي.

ما أبرز الصفات التي تستنزل الغضب الإلهي؟

الجواب: أبرز الصفات التي تستنزل الغضب الإلهي، ما يأتي:

1 الصفة الأولى: الطغيان

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ (طه: 81)

2 الصفة الثانية: الحسد

الحسد، وصنع البرامج التكفيرية والتفسيقية التي تصد عن سبيل الله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ... أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء: 52 - 54)

3 الصفة الثالثة: الدفاع عن الباطل والقوانين الظالمة التي يلهو بها وحوش البشر

وقد كشف عن ذلك هود -عليه السلام- عندما جادله قومه مستندين إلى شرعيتهم المجرمة فقال: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ (الأعراف: 71)، وقال الله عن المدافعين عن الباطل ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى: 16)

4 الصفة الرابعة: نقض العهد وخلف الوعد

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (طه: 86)

5 الصفة الخامسة: الافتراء

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف: 152) ومن أبشع الافتراء محاولة صنع إسلام يجافي الصراط المستقيم وربما اتخذت ألفاظاً براقة ذات معان صحيحة مثل بناء شبكات مسلمة معتدلة Building Moderrate Muslim Networks

6 الصفة السادسة: سوء الظن بالله سبحانه وتعالى

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ (الفتح: 6)

7 الصفة السابعة: صناعة الحركات السرية العاملة على صناعة برامج الإفساد العالمي

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ .. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 26 - 28)

بصيرة 3

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعني وجوب حماية أصحاب الصراط المستقيم من الوقوع في الخسارة في القرارات المصيرية من خلال معرفة صفات الضالين.

فقوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: 7) يعني التحذير التام من الضالين الذين قد يكونون أفرادًا.. قد يكونون أصحابًا.. قد يكونون أعداءً.. قد يكونون مجموعات عملٍ تقدم الخدمات الاستشارية،

ما المراد بالضلال في قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟

الجواب: الضلال حالةٌ خطيرة تصيب الإنسان أو الجماعات أو الدول تؤدي إلى الخسار والهلاك؛ إذ له معنيان:

1 التيه وسُلُوكُ الطَّريقِ الخطأ

سَوَاءٌ عَلِمَ بِذَلِكَ السالك أَمْ لَمْ يَعْلَمْ، وهذا المعنى هو المرحلة الأولى من الضلال، حيث يحدث الضياع في فهم الحياة، فيكونون كما قال الله -جل ذكره- عن قوم تائهين ظنوا أنهم أخطأوا هدفهم: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ (القلم: 26)، وَمِنْه ضَالَّةُ الْإِبِلِ كما قيل:

ألم تسأل فتخبرك الديارُ
عن الحي المضلّل: أين ساروا

2 الهلاك

كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾ (السجدة: 10) أي: هلكنا، وأكل لحومَنا الدودُ، وهذا المعنى هو المرحلة النهائية، وهو نتيجة المرحلة الأولى.

فقوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

يرسم لنا وسائل الحماية من الضلالات الفكرية، والإعلامية، والثقافية، ومن الفاسدين الضالين المتلاعبين بالثروات الخاصة والعامة، والحماية من تجار الحروب المجرمين الضالين.

ما أبرز صفات الضالين؟

الجواب: أبرز صفات الضالين ما يأتي:

الصفة الأولى

عدم الرجوع إلى المصدر الإلهي للأفكار والبناء

﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ (البقرة: 198)

الصفة الثانية

الكفر والازدياد من الأعمال الكفرية

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ (آل عمران: 90)

الصفة الثالثة

اليأس والجزع من الوصول إلى الحلول التي يجدها المرء في رحمة الله الواسعة

﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر: 56)

الصفة الرابعة

الإصرار على التكذيب الجزئي أو الكلي لآيات الله

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ (المؤمنون: 105-106)

الصفة الخامسة

المسارعة إلى النصرة غير المتزنة

﴿فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الشعراء: 20)

الصفة السادسة

المسارعة إلى حياكة المؤامرات

ووصف المُنعَم عليهم بالضلالات الفكرية والثقافية والعملية ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ (المطففين: 32)

بصيرة 4

تغاير النفي في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يبين اختلافًا واتفاقًا بين الفئتين، مما يكشف لنا طبيعة التحالفات ضد أهل الصراط المستقيم.

لماذا غاير الله في أداة النفي فقال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ولم يقل: (غير المغضوب عليهم وغير الضالين)؟

الجواب:

نلحظ أن الله تعالى نفى طريق المغضوب عليهم بأداة النفي (غير) في قوله ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ونفى طريق الضالين بأداة أخرى هي (لا) فقال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وهذا التغاير في استخدام أداة النفي يفتح آفاقًا في استنباط الفرق بين التعبيرين، فـ(لا) تحقق الوظيفتين الآتيتين:

1 الوظيفة الأول

بيان عَظَمة الصراط الذي يسير عليه المُنعَم عليهم؛ فـ(لا) زائدةٌ، لبيان إرادة شدة التوكيد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأعراف: 12)، وكما قال الأحوص:

ويَلحينني في اللَّهْوِ أن لا أُحِبّه
وللَّهْوِ داعٍ دَائِبٌ غَيرُ غافل

2 الوظيفة الثاني

ليبين الاختلاف والاتفاق بين المغضوب عليهم والضالين:

1 فأما الاختلاف بين الجهتين

فيدل عليه الإتيان بأداة نفي مختلفة لكل من الفريقين؛ فالمغضوب عليهم في طريقهم عارفين بالإجرام الرهيب الذي يسببونه للعالم، أما الضالون فما أكثر من يحسب منهم أنه يحسن بإجرامه صنعًا

2 وأما الاتفاق

فلأنه لو كان التعبير (غير المغضوب عليهم وغير الضالين) لتوهم السامع أن المغضوب عليهم والضالين أمتان لا تلتقيان، والأمر ليس كذلك، بل هما يلتقيان في أمور مشتركة كثيرة

ما سبب مآسي العالم؟

الجواب: مآسي العالم المعاصر سببها الخرافات التي تحكم عقول المغضوب عليهم والضالين:

أنزل الله الكتب، وفي مقدمتها القرآن والتوراة والإنجيل، لينظم حياة الناس، ويزكي عقولهم وقلوبهم وحياتهم، وتحريف كلامه يؤدي إلى تكوين نفسيات مريضة تبغي الحياة عوجًا، ثم يصبح بعضها قيادات للمغضوب عليهم وللضالين، فيتلاعبون بما أنزل الله في القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، ويصنعون خرافات يفسدون بها الأرض والإنسان

اذكر مثالًا يوضح مدى تلاعب أهل الكتاب بكتبهم واستبدالها بالخرافات الضالة؟

الجواب: خذ مثال ذلك في قصة وردت في سفر التكوين توهم أن الحسد الباطل مشروع، وألا بأس بالاحتيال والخداع والكذب للحصول على البركات الإلهية:

«27: 1 وحدث لما شاخ إسحق، وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: يا ابني فقال له: هأنذا

27: 2 فقال: إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي

27: 3 فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيدًا

27: 4 واصنع لي أطعمة كما أحب وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت

27: 5 وكانت رِفْقَةُ (والدة يعقوب) سامعةً إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدًا ليأتي بَه

27: 6 وأما رِفْقَة فكلمت يعقوب ابنها قائلة: إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلًا

قارن هذا الكلام الغريب على مقام النبوة مع قوله -تعالى عزه-

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ (ص: 45 - 47).

بصيرة 5

(الصراط) يبين الحلفاءَ والأعداء الإستراتيجيين للأمة المسلمة في الواقع.

ما التقسيم الحقيقي للعالم كما فصّلته آية الصراط؟

الجواب: فصّلَ الله -تعالى جدُه- في الآية السابعة (آية الصراط) التقسيمَ العالميَّ الحقيقيَّ لواقع الناس بعيدًا عن حدود التراب والجنس ليستبين للأمة خريطة حلفائها وأعدائها:

1 الأمة الأولى: المُنعَم عليهم

وهم المشار إليهم بقوله ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾.. فهم يشكلون أمة واحدة، ويجب عليهم أن يتحالفوا، ويعقدوا أواصر الأخوة والتناصر فيما بينهم، وهم من الناحية الزمنية ينقسمون إلى فئتين:

1 **الفئة الأولى**

الذين مضوا على الصراط المستقيم، وهم القيادات العظيمة الذين اخضرّت بهم العدالة في الأرض فازدهرت وأزهرت ممن قال الله تعالى عنهم: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ (الأنعام: 90).

2 **الفئة الثانية**

الذين يسيرون على منهج المتقدمين في صفاتهم وأفعالهم؛ فهم على آثار من سبقهم يسيرون، وبهداهم يهتدون، ويدخل فيهم اليهود والنصارى الذين مدحهم الله بقوله ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ (آل عمران: 113).

2 الأمة الثانية: المغضوب عليهم

بعضهم يمثل الصنف الأول من أعداء الأمة الاستراتيجيين، وبعضهم تائه يحتاج إلى من يأخذ بيده إلى الصواب.

3 الأمة الثالثة: الضّالّون

وبعضهم يمثل الصنف الثاني من أعداء الأمة الاستراتيجيين، وبعضهم تائه يحتاج إلى من يأخذ بيده إلى الصواب.

ما الهدف من تحالف المغضوب عليهم والضالين؟

الجواب: غالبًا ما يتم التنسيق والتحالف والتناصر بين المغضوب عليهم والضالين من خارج الأمة الإسلامية، ومن داخلها بغية تدمير الصراط المستقيم الذي سار عليه المنعم عليهم أو حصاره.

لماذا قدم الله -عز وجل- ذِكْر (المغضوب عليهم) على (الضالين)؟

الجواب: قدّم الله -عز وجل- (المغضوب عليهم) على (الضالين) في قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ لأنه قدم ذِكْرَ القيادي على التابع، وأبرز الأسوأ على السيء؛ فإن الضال المغضوب عليه أسوأ من الضال الذي لم يصل إلى درجة الغضب، إلا أن المغضوب عليهم غالبًا هم سادة الشر وقادته، أما الضالون فتائهون هائمون يقودهم المغضوب عليهم..

فهل صحت فيهم مقولةٌ تنسب إلى أحد قيادات الإفساد العالمي (الدكتور أوسكار ليفي) حين قال:

«نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه وجلاديه»؟

فإن صحت هذه العبارة فهو يعني المحرفين المخرفين منهم، وإلا فمن اليهود من قال الله فيهم: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: 159).

بصيرة 6

تقترن أفعال قيادات المغضوب عليهم والضالين بالوحشية.

كيف انقلب البغي عند المغضوب عليهم والضالين إلى اعتداء ممنهج مدمِّر، وما علاقة ذلك بقسوة القلوب؟

الجواب: ذكر الله عز وجل أن المغضوب عليهم والضالين قومٌ ظهر منهم البغي فقال تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ (البقرة: 90)، وبين الله عز وجل أن بغيهم يربو وينمو ويفشو حتى يصبح اعتداءً ممنهجًا مدمرًا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: 61)، فصارت قلوبهم شديدة السواد، لا نقاء فيها ولا صفاء، وهذا يولد القسوة المجرمة التي لا تبالي برؤية الأطفال وهم يقتلون أو يحرقون، ولا تحرك ساكنًا وهي ترى مئات الآلاف تباد ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: 74).

ما وجه الإعجاز في وصف مجرمي اليهود بأنهم مغضوب عليهم؟ وهل هذا الوصف موجود في التوراة الحالية؟

الجواب: يتجلى الإعجاز في وصف مجرمي اليهود بأنهم مغضوب عليهم حيث: نجد في (الكتاب المقدس) وصفًا دقيقًا لإنزال غضب الله على بني إسرائيل قريبًا مما في القرآن، فمنها:

في سفر العدد:

25: 3 وتعلق إسرائيل ببعل فغور، فحمي غضب الرب على إسرائيل

وفي سفر العدد أيضًا:

32: 10 فحمي غضب الرب في ذلك اليوم وأقسم قائلا:

32: 11 لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر من ابن عشرين سنة فصاعدًا الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب؛ لأنهم لم يتبعوني تمامًا

32: 12 ما عدا كالب بن يفنة القنزي ويشوع بن نون؛ لأنهما اتبعا الرب تمامًا

32: 13 فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة، حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب.

وفي سفر القضاة:

10: 6 وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم، والعشتاروث، وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة مواب، وآلهة بني عمون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه.

10: 7 فحمي غضب الرب على إسرائيل، وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون.

ما وجه الإعجاز في وصف التائهين من النصارى بالضآلين؟ وهل ورد هذا الوصف في الإنجيل الحالي؟ وما حقيقة المدعو (بولس)؟

الجواب: الإعجاز في وصف التائهين من النصارى بالضالين (دعوةٌ مشفقة للنصارى لتصحيح المسار):

حيث قال الله عز وجل حاكيًا عن المسيح عليه السلام:

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: 50، 51).

وكذا ورد في إنجيل متى 5: 17:

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل)

وما هو إلا زمنٌ يسير حتى ضل كثيرٌ من أتباع المسيح عن سواء السبيل، واتبعوا ملة بولس وسموه الرسول، ووضعوا له في الكتاب المقدس أربع عشرة رسالة،

ولنأخذ على ذلك شهادة العالم المسيحيِّ Ernest de Bunsen:

«إن العقيدة والنظام الديني الذي جاء في الإنجيل ليس الذي دعا إليه السيد المسيح بقوله وعمله. إن مرد النزاع القائم بين المسيحيين اليوم وبين اليهود والمسلمين ليس إلى المسيح، بل إلى دهاء بولس Paul ذلك المارق اليهوديُّ والمسيحيُّ، وشرحه للصحف المقدسة على طريقة التجسيم والتمثيل»

وهناك من يشكك في صحة نسبة ذلك إلى بولس ويرى أنه افتري عليه.

وصف تاريخي لتحريفين مُهمّين للكتاب المقدّس عند النصارى:

اذكر مثالًا واقعيًا يثبت تحريف الإنجيل عند النصارى

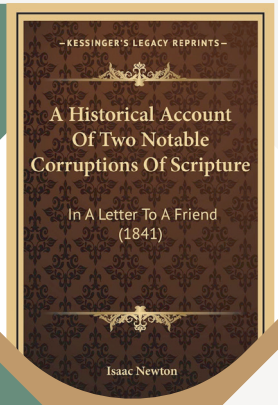

الجواب: كتب إسحاق نيوتن رسالته (وصف تاريخي لتحريفين مهمين للكتاب المقدس)، وبالإنكليزية An Historical Account of Two Notable Corruptions of Scripture)، وطبعت بعد موته ب 27 سنة، وأهم التحريفين المذكورين هو التحريف الذي أريد منه تثبيت بدعة التثليث الكفرية، حيث وجد في نسخة الملك جيمس في يوحنا 5: 7 «فإنّ هنالك ثلاثة شهود في السّماء، الآب والكلمة والرُوح القدس، وهؤلاء الثّلاثة هم واحدٌ»

كشف نيوتن هذا التحريف الخبيث بالرجوع إلى المخطوطات اليونانية واللاتينية الأصلية حيث لم توجد هذه الفقرة، وبين أن «النسخ الأثيوبية والسريانية والعربية والأرمنية والسلافية التي ما زالت تستعمل في عدة أمم شرقية -أثيوبيا، ومصر، وسوريا، والعراق، وأرمينيا، وموسكو، وغيرها- لا تعرف هذه القراءة»، وأوضح أن الكاردينال غونزالو سيسنيروز أول من وضعها في النص اليوناني سنة 1515م.

بصيرة 7

التناقض بين الأقوال والأعمال ينافي مبدأ الاستقامة في ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ .

ما الإعجاز البياني في عدم إضافة (صراط) للمغضوب عليهم والضالين؟ حيث لم يقل: (غير صراط المغضوب عليهم والضالين)؟

الجواب: يظهر بناء التربية القرآنية لهذه البصيرة في النفس المسلمة بصورةٍ مدهشةٍ في الإعجاز البياني الواضح من عدم إضافة الصراط للمغضوب عليهم والضالين:

ففي قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)

نسجل ملاحظةً واضحة أن الله -عز وجل- بين أن للمنعم عليهم صراطًا مستقيمًا هو الصراط الذي تكمن طموحات السعداء في سلوكه، لكن البيان القرآني ذكر المغضوب عليهم والضالين دون أن يذكر لهم صراطًا لأنهم يعبدون أهواءهم المتغيرة، ولأن أهم ما عندهم المخالفة الدائمة للصراط المستقيم مهما كانت هيئة المخالفة؛ فإذا كان الصراط المستقيم يقتضي العفة والطهارة والزواج؛ فإن المغضوب عليهم والضالين يعملون على إشاعة الفاحشة والعلاقات الجنسية خارج الزواج، ويسخرون المؤسسات الدولية لذلك، فيديرون الحياة وفق فهمهم المعوج الشديد التغير.

بصيرة 8

آيتا الصراط تمثلان دستورًا كاملًا للمعرفة العليا والعمل الأقوم.

فآيتا الصراط تبنيان المجتمع والطبيعة بالخبرات الضخمة، والخصال الخيرة الرفيعة، وتدلان على أن بناء النَّفس الإنسانيّة إنما يتم بالمعرفة المبصرة، والممارسة الصادقة وفق درجتين:

الدرجة الأولى

أن يحاول تحصيلهما بالفكر والنَّظر والاستدلال، والاستهداء لأقوم الأمور، ويدل عليه قوله ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: 6).

الدرجة الثانية

أن تصل إليه خبرات المتقدّمين، فتستكمل نفسه صفاتها الرائعة اقتداءً بالصالحات والإيجابيات، وتركًا للقبائح والسلبيات

إلى كم تنقسم خبرات المتقدمين؟

الجواب: خبرات المتقدمين تنقسم إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى:

الخبرات التي يجدها المرء من أَنْوَارِ الصالحين.

المجموعة الثانية:

الخبرات التي يجتنبها مما وجده من ظلمات المجرمين الَّذين أخلُّوا بالأعمال الصَّحيحة ابتداءً، ثم حرفوا لأجلها العقائد والتَصَوُّرات الصحيحة، وهم المغضوبُ عليهم.

المجموعة الثالثة:

الخبرات التي يجتنبها مما وجده من ظلمات المجرمين الذين أخلُّوا بالعقائد الصَّحيحة ابتداءً، ثم أوجدوا لأجلها أعمالًا باطلةً مبنيةً على باطلٍ، وهم الضالون.

إذا كانت المقاصد السابقة تصف الصراط المستقيم، وتحذِّر من الأعداء الاستراتيجيين؛ ليتحقق النصر والتمكين، فقد تتساءل: ما الوسيلة الناجعة لتحقيق هذا النصر؟

الجواب يتجلى في المقصد العاشر الذي يبصرنا به التعبير الجماعي في ﴿نعبد، نستعين، اهدنا﴾:

المقصد العاشر

مبدأ الأمة الواحدة هو وسيلة أصحاب الصراط المستقيم لتحقيق النصر الجماعي، والحماية لأفراد الأمة، ونستنبط هذا من التعبير الجماعي المميز في قوله: ﴿نَعۡبُدُ، نَسۡتَعِينُ، ٱهۡدِنَا﴾ ومن الوصف الجماعي للمُنْعَم عليهم والضالين

المقصد العاشر

مبدأ الأمة الواحدة هو وسيلة أصحاب الصراط المستقيم لتحقيق النصر الجماعي، والحماية لأفراد الأمة، ونستنبط هذا من التعبير الجماعي المميز في قوله: ﴿نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا﴾ ومن الوصف الجماعي للمُنْعَم عليهم والضالين

ما البصائر التي تبصرنا بها كلمات هذه الآية، وتنبثق عن هذا المقصد؟

الجواب:

بصيرة 1

مبدأ (الأمة الواحدة) يمثل سلاح البناء الحقيقي والردع الوقائي للمعتدين.

بصيرة 2

أهم آثار التقسيم الإلهي الثلاثي للعالم: الوحدة الزمانية والمكانية بين أصحاب الصراط المستقيم.

بصيرة 3

فقه التعايش والرحمة بالعالمين، وكون المنعم عليهم خير أمة أخرجت للناس أجمعين ملازم لفقه الحذر والتحذير من المغضوب عليهم والضالين، فذلك من تمام الإنعام والرحمة.

بصيرة 1

مبدأ (الأمة الواحدة) يمثل سلاح البناء الحقيقي والردع الوقائي للمعتدين.

لماذا وردت هذه الأفعال ﴿نَعۡبُدُ، نَسۡتَعِينُ ، ٱهۡدِنَا﴾ بنون الجماعة مع أن القارئ واحد؟

الجواب: الصيغة الجماعية في هذه الكلمات الثلاث ﴿نَعۡبُدُ، نَسۡتَعِينُ ، ٱهۡدِنَا﴾ مع أن القارئ واحد يغرس مبدأ الوحدة الإيمانية غرسا شعوريًا ونفسيًا.. وبذلك يتم حماية الأمة ذات المصالح المشتركة المتعددة، وترى بناءَ الحسّ الجماعيّ جزءًا أساسيًا من النظام العباديّ الإسلاميّ؛ فالصلاة ينبغي أن تكون في جماعة، فقال ﷺ: ((**وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كثر فهو أحب إلى الله -عز وجل-**)) «أبوداود (554)، وحسنه الألباني»، والزكاة أحد أهم أركان النظام العبادي الاجتماعي الإسلامي، وقوله ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 92)، يجمع الله بين توحيد الكلمة، وكلمة التوحيد

ما الحكمة من تكرار الفاتحة وتكرار قول المصلي في التشهد "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"؟

الجواب: كما تتكرر (الفاتحة) في قراءة المصلين؛ يتكرر قول المصلي في التشهد: ((السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين))، لأهدافٍ رائعةٍ، منها هذا البناء للحس الجماعي، وجعل النبي ﷺ من أهم المواد الدستورية في وثيقة المدينة:

((المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يَرُدُّ مُشِدُّهم على مُضْعِفِهم، ومُتَسَرِّيهم على قاعدهم))

«أبوداود (2751)، وهذا الإسناد حسن».

ما أثر الإيمان في ترسيخ مبدأ الأمة الواحدة؟

الجواب: الإيمان جعل البشر أمة واحدة كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ (التوبة: 71)

ما البعد الاستراتيجي لمبدأ الأمة الواحدة؟

الجواب: قد فَصّلَ الله هذا البعد الاستراتيجي الأخطر في الواقع العملي -وهو يبين لنا موازين التحالفات العالمية- بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال: 73).

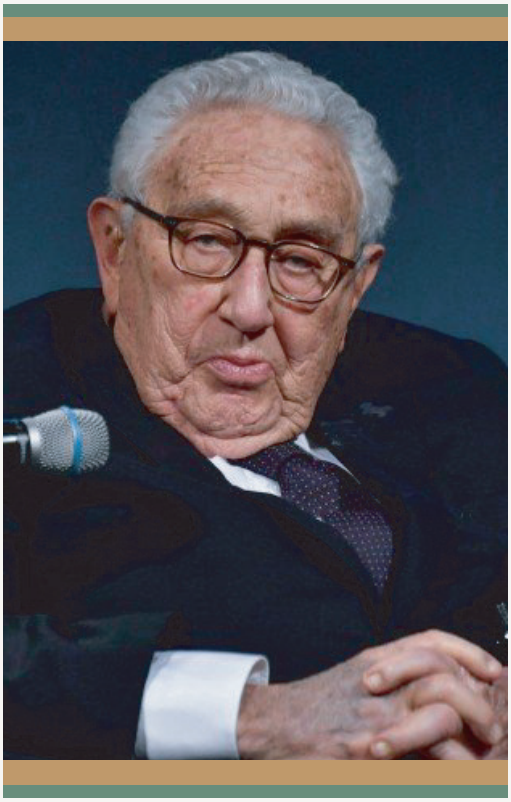

وهنا نذكر كيف اعتزّ هنري كيسنجر بقدرة (الولايات المتحدة الأمريكية) الفائقة في هزيمة أعدائها، وجلبهم بعد الهزيمة ليتحاكموا إلى مؤسساتٍ من صنعها، مشيرًا إلى عقلية قومه الفريدة ضمن حوارٍ دار بينه وبين رئيسه هاري ترومان سأله فيه: عن أهم الإنجازات التي يفتخر بها. إنه يعبر عن عبقرية الولايات المتحدة التي صنعت باتحادها الحقيقي العادل نسبيًا عظمة القيادة للعالم.

فمتى سيكون عند الأمة التي تدعو بأن تهدى صراط المنعم عليهم هذه القوة الفذة؟

بصيرة 2

أهم آثار التقسيم الإلهي الثلاثي للعالم: الوحدة الزمانية والمكانية بين أصحاب الصراط المستقيم.

ما فائدة التقسيم الإلهي الثلاثي للعالم؟

الجواب: التقسيم الإلهي الثلاثي للعالم في قوله تعالى:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة: 6، 7)؛

تقسيمٌ سياسيٌ بامتياز يحقق مصالح الأمة، ويضمن إقامة الحياة التنموية المزدهرة؛

كيف تكون الإخوة من أعظم النعم الإيمانية ؟ وما المراد بالوحدة المكانية والزمانية؟

الجواب: إن أعظم النعم الإيمانية الأخوة الحقيقية لأصحاب الصراط المستقيم.. إنها الأخوة التي تجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل، فهي أخوةٌ مكانية لا تحبسها الحدود، وزمانية تجمع المسلمين من لدن آدم -عليه السلام- إلى الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، إلى قيام الساعة يظللها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون: 52)

ما النتائج المترتبة على عدم تطبيق التقسيم القرآني للحلفاء والأعداء؟

الجواب: نتيجة عدم تطبيق هذا التقسيم القرآني للحلفاء والأعداء:

التيه والهلاك والضياع الرهيب الذي نعيشه ضمن أروقة المجالس الدولية التي لا ينتهي التلاعب بها، حيث يتم التفرج على الإبادات الجماعية لعدم وجود شرعية دولية إلا شرعية (الفيتو) العنصرية المتوحشة، ووصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها))

«أبو داود (4297)، وهو في صحيح الجامع الصغير (2/1359)».

بصيرة 3

فقه التعايش والرحمة بالعالمين، وكون المنعم عليهم خير أمة أخرجت للناس أجمعين ملازم لفقه الحذر والتحذير من المغضوب عليهم والضالين، فذلك من تمام الإنعام والرحمة.

ما البصائر القرآنية التي تُستنبط من (آيتي الصراط)؟ وما أثر ذلك في العقلية المسلمة؟

الجواب: في فقه (آيتي الصراط) نستنبط بصائر قرآنية ثرية تبنيها آية السعداء والأشقياء في العقلية المسلمة، ومن ذلك أن المُنعَمَ عليهم من أهل الصراط المستقيم يجب عليهم الحذر والتحذير من استجلاب غضب أرحم الراحمين، أو الوقوع في الضلالات الفكرية والاعتداء دون اعتبارٍ للجنسية الدينية

ما ضوابط تعايش أهل الصراط المستقيم مع غيرهم؟

الجواب: في فقه التعايش يتعايش أهل الصراط المستقيم مع غيرهم في ظل ضوابط:

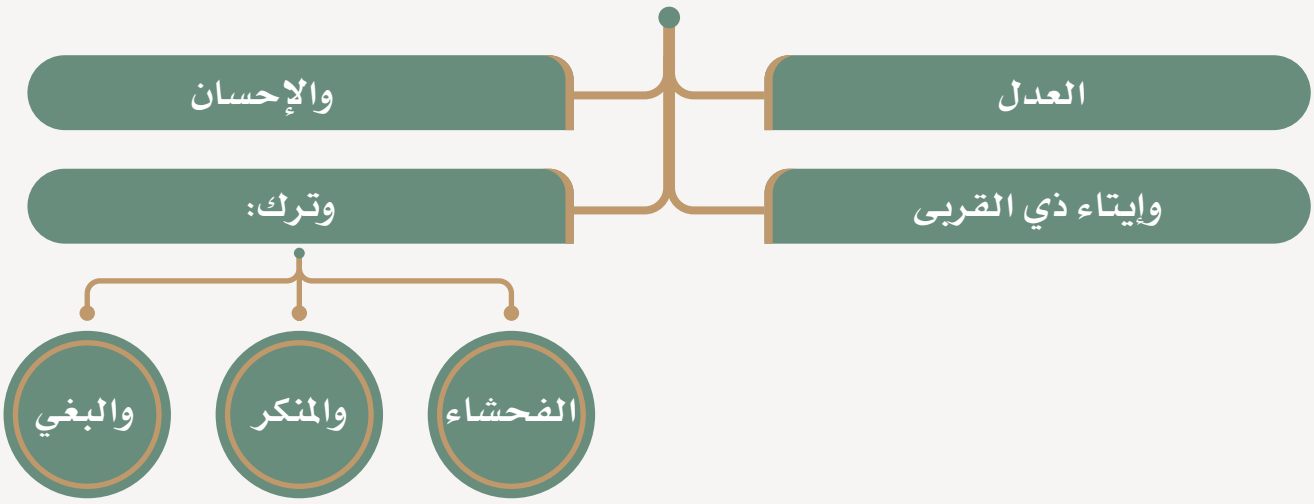

وفي فقه الحذر والتحذير تقتضي سورة (الفاتحة) إيجاد آليات فرديةٍ وجماعيةٍ للحذر والتحذير من الفرق المجرمة المغضوب عليها والضالة.

والنتيجة وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

((وَإِنَّ رَبِّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّى أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِى بَعْضُهُمْ بَعْضًا))

«مسلم (2889)».

ما الآثار الواقعية لفقه آيتي الصراط؟

الجواب: من هذا الفقه القرآني لآيتي الصراط أن نقوم بإنشاء الهيئات العلمية المختصة التي تمنع وقوع الأمة في فخاخ المغضوب عليهم والضالين

ويأتي في مقدمة هذه الهيئات:

مؤسسات العلم الشرعي

1. التي تقوم بالتخلية والتحلية، والتصفية والتزكية
2. وتنمي حاسة الحذر من المزالق الفكرية الضالة،
3. وتربي على كيفية التعامل الشرعي مع:

- الذين في قلوبهم مرض
- والمرجفين
- وقوى النفاق

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122)

ما السبيل العاصم من الفتن كما بينه النبي ﷺ لحذيفة رضي الله عنه؟

الجواب: بين النبي ﷺ لحذيفة بن اليمان السبيل العاصم من حالة الفتنة التي يسيطر فيها الشر على مقاليد الأمور، وذلك لما سأله فقال: يا رسول الله أبعد هذا الخير شر؟ فقال: ((يا حذيفة تعلّم كتاب الله واتّبع ما فيه)) ثلاث مرار. قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: ((يا حذيفة تعلّم كتاب الله واتّبع ما فيه)) ثلاث مرار. قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الشّرّ خيرٌ؟ قال: ((هدنةٌ على دخن، وجماعةٌ على أقذاءَ فيها)) قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: ((يا حذيفةَ تعلّم كتاب الله واتّبع ما فيه)) ثلاث مرار. قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: ((فتنةٌ عمياء صمّاء، عليها دعاةٌ على أبواب النّار، وأن تموت يا حذيفةُ، وأنت عاضٌّ على جذلٍ خيرٌ لك من أن تتّبع أحدًا منهم))

«أحمد (23282)، وحسن إسناده محققو المسند»

الخاتمة

الآلاء والعظمة في (آمين) نعم الخاتمة.. تصديق واشتياق للعطايا القادمة

اذكر فضائل التأمين؟

الجواب: فضائل هذه الكلمة المباركة المخبتة (آمين):

الفاتحة: دعاءٌ وثناءٌ، وتمجيدٌ لرب الأرض والسماء، ومطالبُ يرتجيها منه عباده الأصفياء، ولذا جاء ختامها بـ(آمين). وهذه الكلمة المباركة ليست من الفاتحة إجماعًا، إلا أنها تزيد في الفاتحة ضياءً، وتكسو التالي لها بهاءً:

1 الفضيلة الأولى: الغفران لقائلها إن وافق تأمينه تأمين الملائكة:

ففي مشهدٍ شعوري غامرٍ يدل على الانسجام بين الصالحين والملائكة المقربين يقرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين تأمين البشر وتأمين الملائكة، ويبني على ذلك الأجور الوفيرة، والنعم الكثيرة، فعن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- أنّ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

((إذا قال الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: 7) فقولوا: آمين. -وفي روايةٍ-: إذا أمّن القارئ فأمّنوا، فإنّ الملائكة تؤمّن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه))

«البخاري (782) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه».

1 الفضيلة الثانية: حسد اليهود لنا عليها:

فعن عائشة -رضي الله عنها- عن النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وآله وسَلَّم- قال: ((ما حسدتكم اليهود على شيءٍ، ما حسدتكم على السَّلام، والتَّأمين)) «ابن ماجه (856)، قال في الزوائد: إسناده صحيح». فـ(آمين) علامة على التصديق والاشتياق للعطايا الإلهية القادمة

ما دلالات هذه الكلمة (آمين) ورمزيتها الدينية العظيمة؟

الجواب: لهذه الكلمة رمزيتها الدينية العظيمة، فهي تدل على وحدة مصدر الرسالات السماوية، كما تدل على أن مخالفةَ الأمة لأهل الكتاب ليست على إطلاقها بل يُخالَفُ أهل الكتاب فيما ابتدعوه من الأهواء والرداءة والارتياب.

هل ذكر التأمين في التوراة؟

الجواب: لفظة (آمين) نجدها في التوراة بعد الدعاء على المجرمين الذين يقترفون أرذل القبائح، ففي سفر التثنية:

«فيصرخ اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوتٍ عالٍ:

27: 15 ملعونٌ الإنسان الذي يصنع تمثالا منحوتًا، أو مسبوكًا، رجسًا لدى الرب عمل يدي نحات، ويضعه في الخفاء، ويجيب جميع الشعب ويقولون: آمين.

27: 16 ملعونٌ من يستخف بأبيه أو أمه، ويقول جميع الشعب: آمين.

27: 18 ملعونٌ من يُضِلُّ الأعمى عن الطريق، ويقول جميع الشعب: آمين.

27: 19 ملعونٌ من يُعَوِّج حقّ الغريب واليتيم والأرملة، ويقول جميع الشعب: آمين.

27: 20 ملعونٌ من يضطجع مع امراة أبيه؛ لأنه يكشف ذيل أبيه، ويقول جميع الشعب: آمين.

27: 23 ملعونٌ من يضطجع مع حماته، ويقول جميع الشعب: آمين.

27: 24 ملعونٌ من يقتل قريبه في الخفاء، ويقول جميع الشعب: آمين.

27: 25 ملعونٌ من يأخذ رشوةً لكي يقتل نفس دم بريء، ويقول جميع الشعب: آمين.

27: 26 ملعونٌ من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها، ويقول جميع الشعب: آمين».

ما سبب انفراد الفاتحة بختمها بـ﴿آمين﴾ دون غيرها من السور؟

الجواب: سبب انفراد الفاتحة بختمها بـ{آمين} دون غيرها من السور:

اختتمت الفاتحة بالتأمين بخلاف السور التي تضمنت أدعيةً كسورة البقرة، وسورة آل عمران ربما لمكانة (الفاتحة)؛ فهي بأجمعها دعاء يتضمن الثناء، ولذا روى جَابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله))

«الترمذي (3383)، وقال: حسن غريب»

ما أنواع الدعاء؟ وكيف جمعت سورة الفاتحة هذه الأنواع؟

الجواب: الدعاء نوعان:

النوع الأول:

دعاءُ تملقٍ وتضرعٍ وثناءٍ

وهو في (الفاتحة) في نصفها الأول، وأعظم رموزه الحمدلة.

النوع الثاني:

دعاءُ مسألةٍ وطلبٍ ورجاءٍ

وهو في (الفاتحة) في النصف الثاني ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

(الفاتحة: 6، 7)

ومن أمثلة النوع الأول:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فإنه لم يَدْعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قط إلا استجاب الله له)) «الترمذي (3505). وصحَّحه الألباني».

إنه دعاء الحمد.. دعاء المناجاة والثناء.. يجد الداعي به كل راحةٍ وهناء.. كما قال حادي الهداة ولسان المخبتين التقاة:

إلهي من سناك قبستُ نوري ... وأَنْبَتُّ المحبةَ في ضميري
أفِرُّ إليك من نكدي ويأسي ... ومن عفن الضلالة في شعوري
فقيرًا جئت بابك يا إلهي ... ولستُ إلى عبادك بالفقير

د. عبد الرحمن العشماوي

الأستاذ الدكتور
عبد السلام مقبل المجيدي

- مؤسس مؤسسة بصائر المعرفة القرآنية، ومشروع تسوير السور القرآنية.
- أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة / جامعة قطر حالياً، وجامعتي ذمار وحضرموت سابقاً.
- أشرف على العديد من رسائل الدراسات العليا.
- أسهم في تأسيس عدد من الكليات والجامعات الشرعية في اليمن.
- شارك في لجان التحكيم الدولية في نحو 30 مسابقة دولية للقرآن الكريم في العالم.
- شارك في العديد من المؤتمرات العلمية في أنحاء متفرقة من العالم.
- قدم العديد من البرامج الإعلامية العلمية، والدورات العلمية والتدريبية في التفسير وعلوم القرآن في اليمن وقطر والبحرين وبريطانيا وفرنسا.
- من أهم الكتب والأبحاث العلمية:

1. سورة الفاتحة (المفصّل): (الإسلام في سبع آيات - الفاتحة منهاج حياة).
2. سورة الفاتحة (الوسيط): (الإسلام في سبع آيات - الفاتحة منهاج حياة)، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.
3. سورة البقرة (الوسيط): (إشراق الحضارة الإسلامية على العالم).
4. سورة النساء (المفصّل): (بث الحياة الإنسانية وتنظيمها الإلهي الحقوقي).
5. سورة النساء (الوسيط): (بث الحياة الإنسانية وتنظيمها الإلهي الحقوقي).
6. سورة النساء (الوجيز): (بث الحياة الإنسانية وتنظيمها الإلهي الحقوقي).

7. اقتحام العقبة (سنة التدافع والخروج من عقبة الاستضعاف).
8. تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم.
9. المنهج النبوي في التعليم القرآني.
10. الأساس في أصول التفسير.
11. التنوير في أصول التفسير.
12. الأساس والتنوير في أصول التفسير.
13. لا إنكار في مسائل الخلاف.
14. فقه الاختلاف صراط الأخوة والائتلاف.
15. السلسبيل المورود قصة رحلة الخلود.
16. تسويرُ السُورةِ القرآنيةِ.. إعجازٌ متجدّدٌ (دراسةٌ تطبيقيةٌ على سورةِ النساءِ).
17. البيان التصويريُ للأمثالِ القرآنيةِ (دراسةٌ موضوعيةٌ للمَثَلين: الناريّ، والمائيّ).
18. معالم التجديد والنبوغ عند الإمام الشافعي في التفسير.
19. منهج ابن مجاهد في كتابه السبعة، والقراءات التي ذكرها ولم يذكرها الإمام الشاطبي.
20. الاستخلاف في الأرض (رؤية قرآنية).
21. التربية الدينية في المناهج الدراسية.
22. فن التوجيه عند المفسرين.
23. إدارة الاختلاف في الرؤية القرآنية.
24. دراسة لمخطوطة مصحف تعود إلى القرن الثامن الهجري.
25. مراجعات في الجمع العثماني للقرآن المجيد: (الدوافع، الأهداف، الإجراءات).
26. لجنة نسخ المصاحف العثمانية: (هيكلها الإداري وخطتها العملية).

● المرجع: موقع "بصائر المعرفة القرآنية"